

تدبر القرآن الكريم

ودوره

في تربية العقل المسلم ”سورة البقرة نموذجاً“

إعداد

د. محمد بن درويش درويش

مدرس بقسم أصول التربية

كلية التربية - جامعة السويس

بحث مقدم إلى

المؤتمر العالمي الأول لتدبر القرآن الكريم

بعنوان: (تدبر القرآن الكريم وأثره في حياة الأمة)

في الفترة ٢٣ - ٢٦ شعبان (٨) ١٤٣٤ هـ

الموافق: ٢ - ٥ يوليو (٧) ٢٠١٣ م

مقدمة

إذا كان الإنسان ككل هو المحور الرئيس الذي تدور حوله التربية وتوجه له جُل عنايتها وجهودها، فإن منهج التربية في القرآن الكريم ينظر إلى الإنسان نظرة متكاملة متوازنة جامعة من ناحية عقله وجسمه وروحه، دون تضحية بأي مكون منها على حساب الآخر.

وإن عناية القرآن الكريم بأمر الإنسان لتشير إلى أن له شأنًا عند الله عز وجل، ووزنًا في نظام هذا الوجود، وتتجلى هذه العناية في خلقه وتركيبه على هذا النحو الفائق، سواء في تكوينه الجثماني البالغ الدقة والتعقيد، أو في تكوينه العقلي الفريد، أو في تكوينه الروحي العجيب؛ إن خلق الإنسان على هذه الصورة الجميلة السوية المعتدلة، الكاملة الشكل والوظيفة، أمر يستحق التدبر الطويل، والشكر العميق، والأدب الجَم، والحب لربه الكريم، الذي أكرمه بهذه الحلقة، تفضلاً منه ورعاية ومنة^(١)، قال تعالى: ﴿صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ (النمل ٨٨)، وقال جل شأنه: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ

اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ (١٤) (الملك).

والقرآن - باعتباره كلام الله سبحانه وتعالى الذي نزل على رسوله صلى الله عليه وسلم - كان كتاب هداية وإرشاد، وتضمن من الأفكار والقيم والتوجهات ما يُشكل أعمدة بناء راسخات للشخصية المسلمة^(٢)، وليس من المبالغة القول بأن كل آية في كتاب الله عز وجل هي لبنة في بناء صرح التربية التي يحتاج إليها كل إنسان وهبه الله العقل فاستخدمه وانتفع به^(٣)، وأن كل كلمة فيه هي توجيه تربوي لإنشاء "الشخصية الصالحة" في هذه الأرض سواء كان أمرًا بعبادة، أو توجيهًا أخلاقيًا، أو هُبيًا عن أمر لا يحبه الله ولا يرضاه لعباده، أو تشريعًا منظمًا لحياة البشر، أو قصة من قصص المؤمنين أو قصص المكذابين، أو حديثًا عن اليوم الآخر، ووصفًا لمشاهد الحساب والثواب والعقاب، أو توجيهًا عقليًا لتدبر آيات الله في الكون أو سننه في الحياة؛ كلها جاءت في القرآن للتربية والتوجيه^(٤).

وإن من يتدبر القرآن الكريم، ويتأمله في جميع آياته، يجده واحدًا منسجمًا في جميع أحكامه؛ لا ينقض حكم حكمًا، ولا يتناقض حكم مع حكم، كما أن سلامة القرآن الكريم من الاختلاف تشمل لفظه ومعانيه، فألفاظه في مستوى بلاغي واحد، ومعانيه في العقيدة والشريعة والأخلاق والأحوال الاجتماعية والاقتصادية والسياسية تخدم وتقرر هدفًا واحدًا، وتبني أمة واحدة، وترمي إلى تحقيق مقصد

١ - في ظلال القرآن، سيد قطب، ط (٢١)، م (٦)، دار الشروق، القاهرة، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م، ص ٣٨٤٨.

٢ - الخطاب التربوي الإسلامي، سعيد إسماعيل علي، كتاب الأمة، ع (١٠)، س (٢٤)، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الدوحة، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م، ص ٣٨.

٣ - التربية في الإسلام، أحمد إبراهيم مهنا، دار الشعب، القاهرة، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م، ص ١٣.

٤ - ركائز الإيمان، محمد قطب، دار الشروق، القاهرة، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م، ص ٢٠٥.

واحد^(١): ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ (الإسراء: ٩).

فالقرآن الكريم يهدي للتي هي أقوم في عالم الضمير والشعور بالعميقة الواضحة البسيطة التي لا تعقيد فيها ولا غموض، والتي تطلق الطاقات البشرية الصالحة للعمل والبناء، ويهدي للتي هي أقوم في التنسيق بين ظاهر الإنسان وباطنه، وبين مشاعره وسلوكه، وبين عقيدته وعمله، فإذا هي كلها مشدودة إلى العروة الوثقى التي لا تنفصم، وإذا العمل عبادة متى توجه الإنسان به إلى الله، ويهدي للتي هي أقوم في عالم العبادة بالموازنة بين التكاليف والطاقة، فلا تتجاوز القصد والاعتدال وحدود الاحتمال، ويهدي للتي هي أقوم في علاقات الناس بعضهم ببعض، وقيمها على أسس وطيدة ثابتة لا تتأثر بالرأي والهوى؛ ولا تصرفها المصالح والأغراض، ويهدي للتي هي أقوم في تبني الشرائع السماوية جميعها والربط بينها كلها، وتعظيم مقدساتها، وصيانة حرمتها، فإذا البشرية كلها بجميع عقائدها في سلام ووثام^(٢).

ويُعَدُّ القرآن الكريم أداة التربية الإسلامية الأولى حين يتلقاه الإنسان بعقل واع، قال عز وجل:

﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ (البقرة: ١٢١)، أي: يتبعونه حق اتباعه، باتباع الأمر والنهي، فيحللون حاله، ويحرمون حرامه، ويعملون بما تضمنه^(٣)، وقال تعالى:

﴿كُنْتُ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبْرَكًا لِنُبَشِّرَ الْأَنْبِيَاءَ وَلِنَسُدَّ لِقَابَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَلِنَهِيَ النَّاسَ عَنِ الْمُنَافِقِينَ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ سَاءُ مَا يَحْكُمُونَ﴾ (ص: ٢٩)؛ "فالقرآن ذكرى وعظة لأصحاب العقول الراجحة به وبيانه، والعاقل هو المستفيد من آي القرآن"^(٤).

فالعقل مناط الوعي والبصر والإدراك، ومن ثم يرتبط الإيمان بالعقل في العميقة الإسلامية ارتباطاً وثيقاً، والقرآن يتجه إلى العقل في تأييد الدين، وترسيخ الإيمان، والله يُبين الآيات لقوم يعقلون، ويؤمنون، ويضرب الأمثال لقوم يتفكرون، ويبصرون، ويفقهون، ويوقنون، ويسوق العبرة لأولي الألباب^(٥).

١ - التفسير الوسيط، وهبة الزحيلي، ج (١)، دار الفكر المعاصر، بيروت، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م، ص ٣٥٠ - ٣٥١.

٢ - في ظلال القرآن، سيد قطب، مرجع سابق، م (٤)، ص ٢٢١٥.

٣ - الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، ط (٢)، ج (٢)، تحقيق محمد إبراهيم الحفناوي ومحمود حامد عثمان، دار الحديث، القاهرة، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م، ص ١٠٢.

٤ - التفسير المنير في العميقة والشريعة والمنهج، وهبة الزحيلي، ج (٢٣)، دار الفكر، دمشق، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م، ص ١٩٥ - ١٩٦.

٥ - الشخصية الإسلامية: دراسة قرآنية، عائشة عبد الرحمن، ط (٣)، دار العلم للملايين، بيروت، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م، ص ١٤٨.

و"أولوا الألباب" تكررت في القرآن الكريم ست عشرة مرة، جاءت منها ثلاثة مواضع في سورة البقرة^(١)، وفي كل موضع كان السياق يضم مجموعة من الشرائع، أو يشير إلى خلة من الخلال التي يعلو بها قدر الإنسان فكراً وخلُقاً، فأولوا الألباب هم أهل الخطاب وموضع الثقة وعليهم الأساس في قيادة الدنيا بالدين^(٢)، وصاحب اللب - وهو العقل - هو الذي يتذكر فلا ينسى، وينتبه فلا يغفل، ويعتبر فلا يلج في الضلال، وهذه وظيفة العقل؛ وظيفته أن يذكر موحيات الهدى ودلائله؛ وأن ينتفع فلا يعيش لاهياً^(٣)، قال تعالى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا

كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٣٦﴾ (البقرة)، وهذا يدل على أن ما يؤتاه الله لعبده من حكمته خير له من الدنيا وما عليها، ولا يعقل هذا كل أحد، بل لا يعقله إلا من له لب وعقل زكي^(٤). وقد استنكر الله عز وجل على بعض الناس ألا يعقلوا ما يقومون به من عمل، في قوله تعالى:

﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ نَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾﴾ (البقرة)، فهذا التصرف من اليهود ذميم؛ إذ يأمرون الناس ولا يأمرونهم به، مع أنهم يتلون الكتاب ويعلمون أن ذلك مما لا يجوز، ولا ترضى به أو عنه العقول، فمن عمل ذلك فليس له عقل يردعه عن هذا التصرف الذميم^(٥).

ويُعدُّ أسلوب التدبر من أهم الأساليب المستخدمة في منهاج التربية القرآنية، وإن المتدبر لسورة البقرة يجد طائفة غير قليلة من الآيات القرآنية يمكن أن تُعدُّ مبدأ عاماً يمثل مكوناً أساسياً من عقلية الشخصية المسلمة، وهذه المبادئ العامة إذا جمعت في نسق واحد، ودرس ما بينها من علاقات بينية؛ لمثل ذلك منهجاً واضحاً وأساساً متكاملًا لتفكير المسلم سواء في الجانب الفقهي والتشريع القانوني أو كان في مجال الفكر والنظرة الكلية للإنسان والكون والحياة، أو كان في مجال التربية والقيم والأخلاق على كافة المستويات^(٦).

١ - المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، دار الحديث، القاهرة، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م، ص ٧٤٤.

٢ - دستور الوحدة الثقافية بين المسلمين، محمد الغزالي، دار الشروق، القاهرة، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م، ص ٣٠.

٣ - في ظلال القرآن، سيد قطب، مرجع سابق، م (١)، ص ٣١٢.

٤ - التفسير القيم، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية، جمعه محمد أويس الندوي، حققه محمد حامد الفقي، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت)، ص ١٦٩.

٥ - التربية العقلية، علي عبد الحليم محمود، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م، ص ٤٨.

٦ - الموسوعة القرآنية المتخصصة، نُجبة من العلماء، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بوزارة الأوقاف، القاهرة، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م، ص ٨٢.

ومن ثمّ، فلا بُدَّ للعقل المسلم أن يتعامل مع القرآن بفهم وإدراك وتصور جديد؛ وذلك من خلال رؤية تقوم على التفكير في معانيه، وأوامره ونواهيه، ووعده ووعيده، والوقوف عند حدوده؛ إذ إن الله عز وجل أنزل الله القرآن الكريم ليتدبر، ويتفكر فيه، ويعمل به، وهذا ينبغي أن ينعكس على واقع الإنسان وحياته وسلوكه.

مشكلة البحث وأسئلته

لم يكن مقصد القرآن الكريم تربية الناس على مجرد الحفظ والتريديد، ولا مجرد تدريب عقولهم على الحفظ والفهم، بل أراد الله عز وجل لنا بهذا القرآن، أن تتحول هذه المعرفة التي قدمها لنا، إلى حركة فكرية وعاطفية، ثم إلى قوة دافعة، لنحقق مدلولها في عالم الواقع، فنُطوّر سلوكنا حتى نحقق في كل مجالات حياتنا، وفي كل علاقاتنا، عبوديتنا لله، ونطبق شريعته، بالعمل المثمر في إعمار الكون، وتحقيق عدل الله، وأوامره الحضارية، عن قناعة واندفاع تلقائي، في الحياة الإنسانية، والمجتمعات البشرية^(١).

وقد كان رسول صلى الله عليه وسلم يعمل بالقرآن، ويطبق معانيه، ويأمر أصحابه، وكان الصحابة رضي الله عنهم لا يجاوزون قراءة السورة حتى يفهموا معانيها ويعملوا بما فيها، وهكذا ربي القرآن نفس الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه ومن تبعهم، بكل ما في الكلمة من معنى^(٢).

تربية الصحابة رضي الله عنهم التي زكت أنفسهم من مفسدات الجاهلية، وأحدثت أعظم ثورة روحية اجتماعية في تاريخ الإنسانية، إنما كانت بكثرة تلاوة القرآن وتدبره في الصلاة وفي غيرها، وقد كانوا يقرءونه في كل حال حتى مُستلقين ومضطجعين^(٣) كما وصفهم الله بقوله: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ (آل عمران)، أي فلا يخلو حال من أحوالهم عن ذكر الله المفيد صفاء الظاهر المؤثر في تصفية الباطن، وتخصيص الأحوال المذكورة بالذكر، ليس لتخصيص الذكر بها، بل لأنها الأحوال المعهودة التي لا يخلو عنها الإنسان غالبًا^(٤).

و"التدبر" المطلوب لآيات الله عز وجل هو: الوعي والإدراك والتذكر، فأين هذا مع تلك التلاوة السطحية التي ليس فيها أي إحساس بالمعنى، أو إدراك للمقصد، أو غوص فيما وراء المعنى القريب، لاستنتاج ما هو مطلوب لأمتنا من مقومات نفسية واجتماعية، تستعيد بها الدور المفقود في الشهادة

١ - التربية بالآيات، عبد الرحمن النحلاوي، دار الفكر، دمشق، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٥ م، ص ٢٥.

٢ - المرجع السابق، ص ١٠ - ١١.

٣ - الوحي المحمدي، محمد رشيد رضا، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بوزارة الأوقاف، القاهرة، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م، ص ١٤٢.

٤ - تفسير القاسمي المسمى بحاسن التأويل، محمد جمال الدين القاسمي، ج (٢)، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م، ص ١٩٣.

على الإنسانية وقيادتها إلى الخير؟ بل يُلاحظ غياب بعض صفات عباد الرحمن التي وردت في القرآن الكريم، من أنهم مقبلون على القراءة بحواسهم، فهم: يسمعون، ويبصرون، ومن ثمَّ يتحركون. ومن ثمَّ، فلا يُقبل إطلاقاً أن تنتهي الشخصية المسلمة إلى ذلك النوع الذي ذكره الله تعالى حين وصف عباد الرحمن^(١) بقوله: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾ (الفرقان).

وعن زياد بن ليبيد؛ قال: ذَكَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَيْئًا، فَقَالَ: «ذَلِكَ عِنْدَ أَوَانِ ذَهَابِ الْعِلْمِ»، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! وَكَيْفَ يَذْهَبُ الْعِلْمُ وَتَحْنُ نَقْرًا الْقُرْآنَ وَنُقْرُهُ أَبْنَاءَنَا، وَيُقْرُهُ أَبْنَاؤُنَا أَبْنَاءَهُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ: «تُكَلِّتُكَ أُمَّكَ، زِيَادُ! إِنْ كُنْتُ لَأَرَاكَ مِنْ أَفْقِهِ رَجُلٍ بِالْمَدِينَةِ، أَوْ لَيْسَ هَذِهِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى يَقْرَأُونَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ، لَا يَعْمَلُونَ بِشَيْءٍ مِمَّا فِيهِمَا؟»^(٢)؛ فالهدي النبوي أوضح أن العلم أعمق من القراءة ومن الاطلاع، فهو فهم وتدبر وعمل، وضرب مثلاً يستطيع بفضل ما عليه اليهود والنصارى، فهم يعرفون النصوص المنزلة وهو يحملونها معهم، ولعل البعض منهم يجيد قراءتها، ولكنهم يفتقرون إلى الفهم الذي هو الطريق إلى تحويل العلم إلى عمل^(٣).

لقد ابتعد الناس عن القرآن، وعن أسلوبه الخاص، وعن الحياة في ظلاله، وعن ملابسة الأحداث والمقومات التي يشابه جوها الجو الذي تنزل فيه القرآن، وملابسة هذه الأحداث والمقومات، وتَنَسُّمُ جوها الواقعي، هو وحده الذي يجعل هذا القرآن مُدْرَكًا وموحياً كذلك، وإن المسألة -في إدراك مدلولات هذا القرآن وإيجاءاته- ليست هي فهم ألفاظه وعباراته؛ وإنما هي استعداد النفس برصيد من المشاعر والمدركات والتجارب، تُشابه المشاعر والمدركات والتجارب التي صاحبت نزوله، وصاحبت حياة الجماعة المسلمة وهي تتلقاه، في هذا الجو الذي تنزلت فيه آيات القرآن حية نابضة واقعية، كان للكلمات وللعبارات دلالاتها وإيجاءاتها، وفي مثل هذا الجو الذي يُصاحب محاولة استئناف الحياة الإسلامية من جديد يفتح القرآن أسراره للقلوب، ويكون فيه هدى ونور^(٤).

-
- ١ - كيف تتعامل مع القرآن: في مدارسها عمر عبيد حسنة، محمد الغزالي، ط (٣)، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، هيرندن - فيرجينيا - الولايات المتحدة الأمريكية، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م، ص ٢٨.
 - ٢ - سنن ابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م، كتاب الفتن، باب ذهاب القرآن والعلم، ح (٤٠٤٨)، ص ٦٦٩، وصححه الألباني.
 - ٣ - السُّنَّة النبوية رؤية تربوية، سعيد إسماعيل علي، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م، ص ٢٣٦.
 - ٤ - خصائص التصور الإسلامي ومقوماته، سيد قطب، ط (١٤)، دار الشروق، القاهرة، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م، ص ٧ - ٨.

إن المشكلة تكمن في غياب أدوات التوصيل والتواصل مع القرآن، وفي عدم تربية العقل على التدبر والتفكير والتحليل والتفسير والاستنباط^(١)؛ فالعقل كأى قوة فطرية في الشخصية الإنسانية ينمو ويكبر ويعظم عطاؤه، إذا أحسنت تربيته وتوجيهه ورعايته، فنلمس آثاره في الوعي والفهم والاستيعاب والحكم على الأمور والتصرف العقلاني الذكي في المواقف، وفي نوعية التفكير، بل وفي التصرف والسلوك والممارسات العملية، وإذا أهمل ولم يعتن به، فإنه يخبو تدريجياً ويفقد كثيراً من قدراته^(٢).

وقد توصلت دراسة "فلسفة التربية الإسلامية في القرآن الكريم" إلى إن خريج التربية الحديثة في مجتمعاتنا لا يعرف شيئاً عن القرآن، بل إن من يعرف من القرآن شيئاً، يفسره ويؤوله، حسب مزاجه الشخصي، وليس حسبما يقصد إليه القرآن^(٣).

إن الدعوة الملحة في القرآن على الإنسان أن يجوب آفاق الكون متأملاً آيات الله في كونه المشهود؛ إنما هي دعوة إلى التشغيل الدائم للقدرة العقلية في البحث والدرس والتأمل والفحص والتدبر والنظر من أجل حياة أفضل. إننا نعي جيداً مغزى تأكيد الخالق سبحانه وتعالى على أنه "غني عن العالمين"، وترجمة هذه العبارة العميقة هي أننا في تفعيل العقل وتشغيل إمكانياته لا لكي نضيف إلى الله شيئاً، وإنما لنضيف إلى حياة الإنسان نفسه، فالله يجب أن يرى نعمه على عباده، وإذا كانت أجل نعمة هي هذا العقل، فلا بُدَّ أن تتبدى مظاهرها في كل خطوة من خطوات الإنسان، وفي كل لحظة من لحظات الزمان، وكل بقعة من بقاع المكان^(٤).

وإذا كانت التربية - في المقام الأول - سلوكاً، يتبعه عملاً لتطبيق فكرة، وبحكم الارتباط الوثيق بين الفكر والسلوك، فإن سلوك الإنسان لا بُدَّ أن يكون قائماً على الفهم والاقناع، وإلا اتسم هذا السلوك بالعشوائية، ولما كان العمل بالقرآن هو لتربية الإنسان سلوكاً وتطبيقاً، فكان لا بُدَّ للعقل المسلم من فهم القرآن وقراءته قراءة متدبرة تفهم وتعي وتدرك معاني الآيات ومقاصدها.

ومن هنا يحاول البحث الحالي الكشف عن بعض قواعد وأسس تربية العقل المسلم من خلال تدبر سورة البقرة، وتمثل أسئلة البحث فيما يلي:

١- ما فضل سورة البقرة، وأبرز موضوعاتها؟

٢- ما قواعد وأسس تربية العقل المسلم المستنبطة من تدبر سورة البقرة؟

١ - الخطاب التربوي الإسلامي، سعيد إسماعيل علي، مرجع سابق، ص ص ١٢ - ١٣، من تقديم عمر عبید حسنة.

٢ - فلسفة التربية الإسلامية انتماء وارتقاء، أحمد رجب الأسمر، دار الفرقان للنشر والتوزيع، عمان، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م، ص ٥١٧.

٣ - فلسفة التربية الإسلامية في القرآن الكريم، علي خليل مصطفى أبو العينين، ط (٣)، مكتبة إبراهيم حلي، المدينة المنورة، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٨ م، ص ٣٤٩.

٤ - تجديد العقل التربوي، سعيد إسماعيل علي، عالم الكتب، القاهرة، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٥ م، ص ٣.

٣- ما التصور المقترح للاستفادة من قواعد وأسس تربية العقل المسلم المستنبطة من تدبر سورة البقرة في النهوض بعقل المتعلم؟

أهداف البحث

يكمّن هدف البحث الحالي في محاولة الكشف عن أبرز قواعد وأسس تربية العقل المسلم من خلال تدبر سورة البقرة، وسُئِل الاستفادة منها في الارتقاء بعقل المتعلم.

أهمية البحث

١- إنه يدور حول الأصل الأول من الأصول الإسلامية للتربية؛ وهو القرآن الكريم عامةً، وسورة البقرة خاصةً. وعلى الرغم من تنوع وتعدد محاولات ومشاريع الإصلاح والنهوض ونظريات التربية وسياساتها، لمعاودة بناء الشخصية المسلمة الصالحة للوراثة الحضارية، يبقى القرآن الكريم هو منهج الإصلاح والصلاح، ومحور الهداية والاهتداء التي هي أقوم^(١)؛ إذ إنه يستطيع أن ينهض بحاجات الإنسان المسلم، ويفي بمطالبه، ويغذي عواطفه ومشاعره، ويتابع تطوره ونموه، ويستوعب قضاياها، ويقوده على طريق الكمال برفق^(٢).

٢- إن موضوع التدبر بصفة عامة، وتدبر القرآن الكريم بصفة خاصة، من أهم المواضيع التي ينبغي الوقوف عليها ودراستها؛ إذ إنه من أعظم الوسائل للارتقاء بالإنسان ككل: عقله وروحه وسلوكه وأخلاقه ونفسه.

٣- كون موضوع العقل ضمن المقاصد الأساسية للشريعة الإسلامية التي تسعى إلى الحفاظ عليه؛ "فمقصود الشرع من الخلق خمسة: وهو أن يحفظ عليهم دينهم، ونفسهم، وعقلهم، ونسلهم، ومالهم، فكل ما يتضمن حفظ هذه الأصول الخمسة فهو مصلحة، وكل ما يفوت هذه الأصول، فهو مفسدة، ودفعها مصلحة"^(٣)، وبالإضافة إلى ذلك يُعتبر العقل أحد أهم مكونات الإنسان، ومن هنا يأتي البحث الحالي لبيان كيفية الاهتمام والعناية به من خلال تدبر سورة البقرة.

١ - مهارات التربية الإسلامية، عبد الرحمن بن عبد الله المالكي، كتاب الأمة، ع (١٠٦)، س (٢٥)، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الدوحة، ربيع الأول ١٤٢٦ هـ - إبريل - مايو ٢٠٠٥ م، ص ٥، من تقديم عمر عبيد حسنه.

٢ - نفوس ودروس في إطار التصوير القرآني، توفيق محمد سبع، ج (١)، سلسلة البحوث الإسلامية، س (٣)، ع (٣٤)، مجمع البحوث الإسلامية، القاهرة، رجب ١٣٩١ هـ - أغسطس ١٩٧١ م، ص ٧٧.

٣ - المستصفي من علم الأصول، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، ج (١)، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م، ص ٤١٧.

٤- إن الإنسان كان وسيظل أبداً، العامل الأول في صراع البقاء وسباق التقدم، فالأمة لا تحمي وجودها ولا تقدمها إلا بمقدار ما تملك من رصيد ذخيرتها البشرية قيمة ونوعاً^(١)، ولذا يأتي الاهتمام والعناية بتربية الجانب العقلي للنهوض بقيمة ذلك الإنسان ومكانته.

٥- يأتي هذا البحث تلبية لتوصيات دراسات أخرى؛ فقد أوصت دراسة "منهج القرآن في تهذيب غرائز الإنسان: غريزة حب الاستطلاع" بضرورة دراسة القرآن الكريم دراسة متفحصية للبحث في معاني كتاب الله الكريم والنظر في دقائقه المترابطة التي لا تنتهي؛ لأن البداية الصحيحة مضمونة الثبوت، وبالتالي فإنَّ النتائج لا بُدَّ أن تكون صحيحة^(٢)، كما أوصت دراسة "تدبر القرآن الكريم: مفهومه - أساليبه - أسبابه - آثاره" بأنَّ موضوع تدبر القرآن الكريم من الموضوعات الجديدة بالدراسة والبحث والتأصيل؛ وهو بحاجة للمزيد من الأبحاث والدراسات التي يمكن أن تؤسس ذلك المنهج الصحيح لتدبر القرآن الكريم^(٣)، كذلك أشارت دراسة "منهجية التدبر في القرآن الكريم وتطبيقاتها في مجال التربية العقلية لطالبات المرحلة الثانوية" أنَّ مكتبة التربية الإسلامية تفتقر لوجود دراسات تعني بالجانب العقلي من خلال تدبر القرآن الكريم^(٤).

٦- كونه محاولة لتقديم رؤية تربوية قرآنية قد تفيد المربين والمعلمين؛ إذ تسعى إلى الكشف عن أبعاد تربية الجانب العقلي للشخصية المسلمة من خلال ضوء تدبر سورة البقرة، كي تتضافر جهودهم للارتقاء والنهوض به.

حدود البحث

اقتصرت البحث الحالي على استنباط بعض قواعد وأسس تربية العقل المسلم من خلال تدبر آيات سورة البقرة، ومحاولة الاستفادة وسُّبُل الاستفادة منها في الارتقاء بعقل المتعلم. وقد تناول البحث الجانب العقلي للإنسان دون غيره من الجوانب الأخرى؛ لارتباطه المباشر بموضوع البحث الرئيس وهو تدبر القرآن عامةً وسورة البقرة خاصةً، فضلاً عن إن موضوع العقل وتربيته

١ - الشخصية الإسلامية، عائشة عبد الرحمن، مرجع سابق، ص ١١.

٢ - "منهج القرآن في تهذيب غرائز الإنسان: غريزة حب الاستطلاع"، أبو بكر علي الصديق، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، س (١٩)، ع (٥٦)، مجلس النشر العلمي، جامعة الكويت، المحرم ١٤٢٥ هـ - مارس ٢٠٠٤ م، ص ٨٤.

٣ - "تدبر القرآن الكريم: مفهومه - أساليبه - أسبابه - آثاره"، فهد بن مبارك بن عبد الله الوهي، مجلة الدراسات القرآنية، ع (٨)، الجمعية العلمية السعودية للقرآن الكريم وعلومه، الرياض، ١٤٣٢ هـ - ٢٠١١ م.

٤ - منهجية التدبر في القرآن الكريم وتطبيقاتها في مجال التربية العقلية لطالبات المرحلة الثانوية، إيمان بنت زكي عبد الله، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة أم القرى، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م، ص ١٦.

من أهم الموضوعات التي ينبغي الوقوف عليها؛ إذ إن بدون العقل فلا تكليف، ولا مسئولية، ولا حياة إنسانية كريمة.

كما اقتصر على سورة البقرة دون غيرها من سور القرآن؛ لتمييزها بتوجيه العقل إلى النظر في حكمة تشريع كثير من الأحكام؛ ومن ذلك: القصاص، والصيام، والخمر والميسر، والرضاعة، والطلاق، والدين وغيرها؛ "فضلاً عن اشتغالها على كثير من الأحكام الفقهية سواء أكانت في الأسرة أم في المعاملات المالية، أم في الزواج الاجتماعية، أم في المعاملات الدولية، وأحكام الجهاد، وفيها كل ما يتصل بالسلوك الإنساني الذي فرضه القرآن الكريم"^(١)، كما إنها أطول السور القرآنية جميعاً؛ إذ تستغرق أكثر من جزءين من أجزاء القرآن، وفيها حشد من الموضوعات المتنوعة أكثر مما حوته سورة أخرى من سور القرآن^(٢)، كما أنها أحفل سور القرآن بالتحاليم المتنوعة^(٣)، وفيها من العلوم والمعارف وقواعد الإسلام وأصول الإيمان، ومقامات الإحسان ما يستدعي بيانه كتاباً مفرداً^(٤)، فضلاً عن تضمينها لكثير من أساليب تربية العقل المسلم، ومنها أساليب التربية بالحوار والتساؤل، والقصة، والأمثال، وغيرها.

منهج البحث

يستخدم البحث المنهج الوصفي باعتباره منهجاً مناسباً لتحقيق هدفها حيث "يهدف إلى رصد الظواهر والممارسات، وجمع الحقائق عنها وتصنيفها، ثم الكشف عن العوامل التي تكرس تلك الظواهر، وتحديد ما قد يوجد بين هذه العوامل من صلات"^(٥)، ويتحقق ذلك في هذا البحث حيث يهتم بتفسير وبيان بعض الآيات القرآنية في سورة البقرة ذات الصلة بموضوع التدبير، وذلك لمحاولة استخلاص بعض القواعد والأسس التي تسهم في تربية العقل المسلم.

مصطلحات البحث

١-التدبير

- ١ - المعجزة الكبرى: القرآن "نزوله - كتاباته - جمعه - إعجازه - جدله - علومه - تفسيره - حكم الغناء به"، محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م، ص ٢٤٠.
- ٢ - دراسات قرآنية، محمد قطب، ط (٧)، دار الشروق، القاهرة، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م، ص ٢٨٧.
- ٣ - نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم، محمد الغزالي، ط (٥)، دار الشروق، القاهرة، ١٤٣٢ هـ - ٢٠٠٢ م، ص ١١.
- ٤ - طريق المهجرتين وباب السعادتين، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية، م (١)، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م، ص ٨٢٤.
- ٥ - مناهج البحث في التربية وعلم النفس، جابر عبد الحميد جابر وأحمد خيرى كاظم، مناهج البحث في التربية، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م، ص ١٣٤.

لغة: التَّدْبِيرُ مصدر تَدَبَّرَ وهو مأخوذ من مادة (د ب ر)، والبدال والباء والراء: أصلٌ يدلُّ على آخر الشيء وحلُّفه، خلافُ قُبِّلِه، والتدبير: أن يُدبِّر الإنسان أمره، وذلك أنه ينظر إلى ما تصير عاقبته ولاحزته^(١)، قال تعالى: ﴿فَالْمُدْبِرَاتِ أَمْرًا ۝٥﴾ (النازعات): يعني ملائكةً موكِّلةً بتدبير أمور^(٢)، وفي الحديث: «... وَلَا تَدَابِرُوا...»^(٣)؛ مأخوذ من تَوْلِيَةِ الرَّجُلِ الْآخَرَ دُبْرَهُ إِذَا أَعْرَضَ عَنْهُ حِينَ يَرَاهُ^(٤). ومن ثمَّ، فالدلالات اللغوية لمادة (د ب ر) يمكن أن ترشدنا إلى إن (التدبُّر) يحتاج إلى التتبع للوصول للغايات، وأواخر الأشياء^(٥).

واصطلاحًا: التدبير هو النظر في عواقب الأمور وهو قريب من التفكير، إلا إن التفكير تصرف القلب بالنظر في الدليل، والتدبير تصرفه بالنظر في العواقب^(٦).

وتدبير القرآن: هو تأمل وتفكر وتبصر معانيه ومقاصده وأهدافه؛ ففي معجم ألفاظ القرآن الكريم: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ ۚ﴾ (النساء ٨٢) أي: يتأملون معانيه ويتبصرون ما فيه، من تدبير: نظر في أدبار الأمور وعواقبها وأسبابها، وقوله عز وجل: ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ ۙ﴾ (المؤمنون ٦٨) أصلها أفلم يتدبروا: أفلم يتأملوا^(٧)، وفي معاني القرآن وإعرابه: ﴿لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ﴾ (ص ٢٩)، قال الزجاج: المعنى هذا كتاب ليدبِّروا آياته؛ ليُفكِّروا في آياته، وفي أدبار أمورهم، أي عواقبها^(٨)، وفي القاموس القويم

-
- ١ - معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا الرازي، وضع حواشيه إبراهيم شمس الدين، م (١)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م، ص ٤٣٠.
 - ٢ - المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، ط (٢)، تحقيق محمد خليل عيتاني، دار المعرفة، بيروت، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م، ص ١٧١.
 - ٣ - صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، دار ابن رجب، القاهرة، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم التحاسد والتباغض والتدابير، ح (٢٥٥٩)، ص ١٣٤١.
 - ٤ - صحيح مسلم بشرح النووي، يحيى بن شرف النووي، م (٨)، تحقيق عصام الصباطي وحازم محمد وعماد عامر، دار الحديث، القاهرة، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م، ص ٣٥٨.
 - ٥ - "مفهوم التدبير عند اللغويين"، عويض العطوي، في: مفهوم التدبير: (تحرير وتأسيس)، أوراق عمل الملتقى العلمي الأول لتدبير القرآن الكريم، مركز تدبير للاستشارات التربوية والتعليمية، الرياض، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م، ص ٢١.
 - ٦ - التعريفات، أبو الحسن علي بن محمد بن علي الجرجاني المعروف بـ "السيد الشريف"، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٣٩١ هـ - ١٩٧١ م، ص ٣٠.
 - ٧ - معجم ألفاظ القرآن الكريم، مجمع اللغة العربية، ج (١)، مجمع اللغة العربية، القاهرة، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م، ص ٣٩٢.
 - ٨ - معاني القرآن وإعرابه، أبو إسحاق إبراهيم بن السري المشهور بالزجاج، ط (٢)، ج (٤)، شرح وتحقيق عبد الجليل عبده شلبي، دار الحديث، القاهرة، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م، ص ٣٢٩.

لألفاظ القرآن الكريم: ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ (محمد)، أي: هل عجزوا وعموا فلا يتأملون معاني القرآن ويصرون ما فيه من حكم بالغة فيؤمنون به^(١).

٢- تربية العقل

هي التربية التي تهتم بالعقل وتغذيه، وتمده بأسباب نشاطه وحيويته، وتعطيه القدرة على النظر والتأمل والتدبر، والتحليل والاستنتاج؛ أي تنمي قدراته واستعداداته^(٢)؛ ولذا فهي بمثابة "منهج التفكير" و "طريقة السلوك" التي يمارسها الإنسان في تناول القضايا والمشكلات بروية وتأمل واستنباط ومقارنة وتعليل وتحليل وتصنيف وبيان وتبيين ونقد^(٣).

أو هي تلك التربية التي تنصبُ -بدرجة أساسية- على تغذية العقل بكم كبير من المعلومات والمعارف والحقائق، فضلاً عن تدريبه على عمليات عقلية أساسية مثل التفكير والربط والمقارنة والاستنباط والاستقراء والتحليل وما مائل هذا وذلك من عمليات عقلية^(٤).

ويتبنى البحث المفهوم السابق لجمعه بين إمداد العقل بالمحتوى المعلوماتي والمعرفي من ناحية، وبين تدريب العقل على العمليات الأساسية، وذلك بما يتسق مع التربية المنشودة للعقل المسلم.

الدراسات السابقة

وسيتم عرضها من الأقدم إلى الأحدث كما يلي:

١- دراسة تربية العقل في الإسلام ودورها في مواجهة المظاهر السلبية للتفكير (١٤١٦هـ)^(٥)

هدفت الدراسة إلى التعرف على الأسس والمبادئ التي تركز عليها تربية العقل في الإسلام، والكشف عن المظاهر السلبية في التفكير والتي تُمثل معالم أزمة العقل المعاصر، واستخدمت الدراسة المنهج الوصفي، وتوصلت الدراسة إلى عدة نتائج منها: إن من المظاهر السلبية في التفكير والتي أصابت العقل المعاصر: التقليد، والجمود الفكري، والتعصب للرأي، والجهل وقصور الفهم، واضطراب الأولويات، وكلها تعد آفات فكرية أدت إلى تعطيل العقل وأبعده في منهجية تفكيره عن المنهج العلمي،

١ - القاموس القويم للقرآن الكريم، إبراهيم أحمد عبد الفتاح، ج (١)، مجمع البحوث الإسلامية، القاهرة، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦م، ص ٢٢١.

٢ - تربية الناشئ المسلم، علي عبد الحليم محمود، ط (٣)، دار الوفاء لدنيا الطبعة والنشر، القاهرة، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤م، ص ٢٥٩.

٣ - تجديد العقل التربوي، سعيد إسماعيل علي، مرجع سابق، ص ٣ - ٥.

٤ - التربية السياسية للأطفال، سعيد إسماعيل علي، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨م، ص ١٧.

٥ - تربية العقل في الإسلام ودورها في مواجهة المظاهر السلبية للتفكير، أماني عصمت عبد العزيز هيبه: رسالة ماجستير غير منشورة، كلية البنات، جامعة عين شمس، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥م.

وإن الإسلام حرر العقل من كل ما يعطل عمله أو يضلل حكمه، ومن ثمَّ ربَّاه على التفكير المستقل المتحرر من الأهواء الذاتية أو الظنون أو كل ما هو غير علمي.

٢- دراسة مفهوم التلاوة والترتيل والتدبر في القرآن الكريم (١٤٢٥ هـ)^(١)

هدفت إلى دراسة الفروق بين مفاهيم التلاوة والترتيل والتدبر كما جاءت في القرآن، واستخدمت الدراسة المنهج الوصفي، وتوصلت إلى عدة نتائج منها: أن بين ألفاظ التلاوة والترتيل والتدبر تلازم وارتباط وكل واحد مرتب على الآخر ومبني عليه، وهذا يدعو حتمًا إلى تعلم تفسير القرآن وتجويدته، ولا بُدَّ من ضرورة الجمع بين حفظ القرآن وفهم مقاصده، وذلك عن طريق معرفة تفسيره حسب العمر والمرحلة التعليمية ولو بصورة مبسطة، كما ينبغي على معلمي التربية الدينية التركيز على بيان بعض معاني كلام الله لربطه بكتاب الله حتى يتعود الطالب على البحث والاسترشاد من القرآن.

٣- دراسة مصطلح "التفكير" كما جاء في القرآن الكريم: دراسة موضوعية (١٤٢٦ هـ)^(٢)

هدفت إلى دراسة مصطلح التفكير كما جاء في القرآن، واستخدمت الدراسة المنهج الوصفي. وتوصلت إلى نتائج منها: ورد مصطلح التفكير في القرآن ثماني عشرة مرة، في سياقات مختلفة، وإن من مظاهر إعجاز القرآن اختيار الكلمة المناسبة للمقام المناسب، وهناك فروق واضحة بين المصطلحات التي قد يظن أنها مترادفة مع التفكير، سيما الألفاظ التي تدور حول العقل والتذكر والتدبر والفقهاء، وإن آيات التفكير في القرآن تطرقت إلى موضوعات ستة هي: الإشارة إلى عظمة الله تعالى في السماوات والأرض وغيرها، والدلالات الإيمانية في حقيقة النبوة والرسالة والوحي، وفي حقيقة الدنيا وزوالها وحقيقة الموت، ودلالات حكمة تشريع بعض الأحكام، وتعظيم شأن القرآن، وفي عاقبة من لم ينتفع بعلمه.

٤- دراسة التنشئة القرآنية وأثرها في بناء الفرد والمجتمع (١٤٢٨ هـ)^(٣)

١ - "مفهوم التلاوة والترتيل والتدبر في القرآن الكريم"، منظور بن محمد بن محمد رمضان، مجلة علوم الشريعة واللغة العربية وآدابها، ج (١٨)، ع (٣٠)، جامعة أم القرى، جمادى الأولى ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م.

٢ - "مصطلح التفكير كما جاء في القرآن الكريم: دراسة موضوعية"، محمد خازر الجالي، مجلة الشريعة والقانون، ع (٢٣)، الجامعة الأردنية، عمّان، ربيع الأول ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.

٣ - "التنشئة القرآنية وأثرها في بناء الفرد والمجتمع"، أحمد بن عبد الله عبد المحسن الفريح، مجلة علوم الشريعة واللغة العربية وآدابها، ج (١٩)، ع (٤١)، جامعة أم القرى، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م.

هدفت إلى تناول أثر القرآن الكريم على نشأة حملته، وأثره على حياتهم، واستخدمت المنهج الوصفي، وتوصلت إلى عدة نتائج منها: إن أثر القرآن لن يظهر على حملته إلا حين يمتثلون تعاليمه وتوجيهاته، ويتأدبون بأدابه وأخلاقه، وإن القرآن ليس آيات تتلى فحسب؛ ولكنها تعاليم تستقى، وآداب تحتذى، وإن طريقة النبي صلى عليه وسلم في تعليم القرآن الكريم لأصحابه، لم يكن يغلب فيها جانب الحفظ وتصحيح التلاوة على جانب فهم الآية، والعمل بها، وتلك هي الطريقة المثلى المنشودة.

٥- دراسة التفكير وتنميته في ضوء القرآن الكريم (١٤٣٠هـ)^(١)

هدفت إلى التعرف على معنى التفكير، وأهم القواعد والأساليب التي اتبعها القرآن لتنميته، واستخدمت الدراسة المنهج الوصفي، وتوصلت إلى عدة نتائج منها: لم يرد التفكير في القرآن بصيغة المصدر، وإنما ورد بصيغة الفعل، مما يدل على أن هذه العملية الفعلية تُعرف بوظيفتها، وهذا ما ينبغي التركيز عليه، كما ورد في القرآن ذكر عدد من العمليات العقلية من التذكر والفقه والتدبر والنظر، وهي عمليات مترابطة متكاملة هادفة، واشتمل القرآن على توجيهات لتنمية التفكير ومنها: إثارة الدافع للتفكير، واستخدام أسلوب الحوار الذي يرسخ قواعد التفكير السليم لدى المتحاورين.

٦- دراسة منهجية التدبر في القرآن الكريم وتطبيقاتها في مجال التربية العقلية لطالبات المرحلة الثانوية (١٤٣٠هـ)^(٢)

هدفت إلى محاولة استنباط منهجية التدبر للقرآن الكريم في مجال التربية العقلية لطالبات المرحلة الثانوية، واستخدمت الدراسة المنهج الإستقرائي والمنهج الإستنباطي، وتوصلت إلى عدة نتائج منها: إن منهجية التدبر لكتاب الله تُعدُّ إحدى مناهج التربية الإسلامية لتطوير أداء العقل الإنساني، وإن من أهم القدرات التي تسهم عملية التدبر في تنميتها هي: القدرة على القراءة العميقة بتمعن، والقدرة على الاستماع الفعال والإنصات الجيد، والقدرة على الفهم الصحيح، والقدرة على تحقيق الانسجام الفكري، والقدرة على تنمية المفاهيم وتطويرها، والقدرة على إثارة طلب البرهان والدليل العقلي، والقدرة على الإقناع العقلي، والقدرة التحليلية، والقدرة على التفكير التتبعي، والقدرة على الابتكار والإبداع.

٧- دراسة تدبر القرآن الكريم: مفهومه - أساليبه - أسبابه - آثاره (١٤٣٢هـ)^(٣)

١ - التفكير وتنميته في ضوء القرآن الكريم، عبد الوهاب محمود إبراهيم، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح الوطنية بنابلس، فلسطين، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.

٢ - منهجية التدبر في القرآن الكريم وتطبيقاتها في مجال التربية العقلية لطالبات المرحلة الثانوية، إيمان بنت زكي عبد الله، مرجع سابق.

٣ - "تدبر القرآن الكريم: مفهومه - أساليبه - أسبابه - آثاره"، فهد بن مبارك بن عبد الله الوهي، مجلة الدراسات القرآنية، ع (٨)، الجمعية العلمية السعودية للقرآن الكريم وعلومه، الرياض، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م.

هدفت إلى محاولة إبراز بعض الجوانب المهمة في تأصيل منهجية تدبر القرآن الكريم، واستخدمت الدراسة المنهج الوصفي، وتوصلت إلى عدة نتائج منها: إن تدبر القرآن هو تأمل للقرآن الكريم بقصد الاعتاظ والاعتبار والاستبصار، وأن من أهم الأساليب القرآنية للتدبر: توجيه الخطاب لأصحاب العقول والنهى، وضرب الأمثال بقصد التفكير والتذكر، وتعليل الآيات وختمها بما يدعو إلى التدبر، وذكر القصص القرآني للتفكير والعبرة، كما تعددت الأسباب المعينة على تدبر القرآن الكريم ومن ذلك: التمهّل والتأني عند قراءة القرآن الكريم، وفهم لوازم النص القرآني ومقاصده، وأن التدبر الصحيح للقرآن الكريم له آثاره ومنها: الهداية إلى الإيمان وزيادته، والبعث على الخشية والخوف والتأثر بلا تكلف.

٨- دراسة تحليلية لبعض القيم التربوية في سورة البقرة ودورها في تربية تلميذ المرحلة الأولى من التعليم الأساسي (١٤٣٢هـ)^(١)

هدفت إلى الكشف عن نماذج القيم التربوية في سورة البقرة، ومعرفة كيفية تفعيل تلك القيم لتربية تلميذ المرحلة الابتدائية، واستخدمت الدراسة المنهج الوصفي، وتوصلت إلى عدة نتائج منها: يُعدُّ القرآن الكريم مصدرًا للأحكام والقوانين والتشريعات والمبادئ التي يجب الاسترشاد بها في تربية الإنسان، كما تضمنت سورة البقرة كثير من القيم البيئية، والأخلاقية، والاجتماعية، والسياسية، والاقتصادية، والعقلية، والصحية، والتي تلائم عقلية تلميذ المرحلة الابتدائية.

التعليق على الدراسات السابقة

أولاً - أوجه استفادة البحث الحالي من الدراسات السابقة

أ- التعرف على بعض المفاهيم التي تناولها القرآن والتي لها صلة بمفهوم تدبر القرآن، ومن ذلك مفاهيم: التلاوة والترتيل والتفكير والتدبر.

ب- الاستفادة من المنهجية البحثية المتبعة في الدراسات السابقة؛ إذ إن جُل هذه الدراسات استخدمت المنهج الوصفي، وهو المنهج ذاته المستخدم في البحث الحالي.

ج- التعرف على بعض أساليب تربية العقل -عمومًا- في الإسلام، والكشف عن أهم القيم التربوية العقلية في سورة البقرة.

ثانيًا - أوجه الاختلاف بين البحث الحالي والدراسات السابقة

١ - دراسة تحليلية لبعض القيم التربوية في سورة البقرة ودورها في تربية تلميذ المرحلة الأولى من التعليم الأساسي، دعاء وحيد فؤاد، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة قناة السويس، ١٤٣٢ هـ - ٢٠١١ م.

١- تناول البحث الحالي الكشف عن قواعد وأسس تربية العقل المسلم من خلال تدبر سورة البقرة، -وهو ما لم يتم تناوله بصورة تفصيلية وتأصيلية على حد علم الباحث-، إذ ما تم كان من خلال إشارات في معرض الحديث عن تأثير تدبر القرآن في الإنسان ككل، أو عند الحديث عن بعض أساليب تربية العقل في الإسلام بصفة عامة، أما دراسة " منهجية التدبر في القرآن الكريم وتطبيقاتها في مجال التربية العقلية لطالبات المرحلة الثانوية" فقد تمثل هدفها الرئيس في تحديد بعض القدرات العقلية في القرآن الكريم- والتي سبق الإشارة إليها-، والتي تثيرها عملية التدبر في العقل، وإمكانية تفعيلها في مجال التربية العقلية لدى طالبات المرحلة الثانوية، وهي تختلف تمامًا عما يتناوله البحث الحالي.

٢- حاول البحث الحالي تقديم ملامح تصور مقترح للاستفادة من قواعد وأسس تربية العقل المسلم المستنبطة من تدبر سورة البقرة، وذلك بما يفيد المعلم في النهوض بعقلية المتعلم، وما يترتب على ذلك من إثراء العملية التعليمية في الوقت الحالي.

خطوات الدراسة

يسير البحث -بحكم طبيعته وأهدافه- وفقاً للمحاور التالية:

المحور الأول: فضل سورة البقرة وأهم موضوعاتها.

المحور الثاني: قواعد وأسس تربية العقل المسلم المستنبطة من خلال ضوء تدبر سورة البقرة.

المحور الثالث: التصور المقترح للاستفادة من قواعد وأسس تربية العقل المسلم المستنبطة من ضوء تدبر سورة البقرة في النهوض بعقل المتعلم.

الإطار النظري للبحث، ويشمل المحاور التالية

المحور الأول: فضل سورة البقرة وأبرز موضوعاتها

اتجهت الجهود بعد هجرة النبي صلى الله عليه وسلم إلى تكوين المجتمع الإسلامي الأول في المدينة المنورة؛ إذ وجدوا دارًا تجمع أمتهم، وتقيم دولتهم، لكنهم فوجئوا بعداوة اليهود الذين يتآمرون سرًا وعلنًا على الكيد لهم، وحاول النبي صلى الله عليه وسلم أن يستلين جانبهم، ويتعاون على الخير معهم، بيد أن حقدهم غلب، وبدأ شرهم ينتشر، فكان المسلمون في مهجرهم الذي ظفروا به بينون بيد، ويقاومون بأخرى! يؤسسون مجتمعاتهم وفق إشارات الوحي، ويدفعون عنه أعداء لا يخفى لهم ضغن! وفي هذا الجو نزلت سورة البقرة أطول سور القرآن^(١).

١ - نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم، محمد الغزالي، مرجع سابق، ص ١١ - ١٢.

وسورة البقرة جميعها مدني* بلا خلاف، وهذا بإجماع المفسرين، وآيها مائتان وثمانون، قال الحافظ ابن كثير: "والبقرة جميعها مدنية بلا خلاف"^(١)، وقال الحافظ ابن حجر: "واتفقوا على أنها -أي البقرة- مدنية، وأنها أول سورة أنزلت بالمدينة"^(٢).

وقد صحح** في فضلها عدة أخبار: منها ما في الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ مَقَابِرَ وَإِنَّ الْبَيْتَ الَّذِي تُقْرَأُ فِيهِ الْبَقْرَةُ لَا يَدْخُلُهُ الشَّيْطَانُ»^(٣).

وروى مسلم عن أبي أمامة قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «اقْرَأُوا الْقُرْآنَ. فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لِأَصْحَابِهِ. اقْرَأُوا الزَّهْرَاوِينَ. الْبَقْرَةَ وَسُورَةَ آلِ عِمْرَانَ. فَإِنَّهُمَا تَأْتِيَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ. أَوْ كَأَنَّهُمَا عَيَاتَانِ أَوْ كَأَنَّهُمَا فِرْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافٍ. تُحَاجَّانِ عَنْ أَصْحَابِهِمَا. اقْرَأُوا سُورَةَ الْبَقْرَةِ. فَإِنَّ أَخْذَهَا بَرَكَةٌ. وَتَرْكُهَا حَسْرَةٌ. وَلَا تَسْتَطِيعُهَا الْبَطْلَةُ»^(٤)، وقوله الزهرواوين: أي المنيرتين -في الإعجاز أو في وفرة الأحكام- والغيابة: ما أظلك من فوقك، والفرق: القطعة من الشيء، والصواف: المصطفة، والبطلة: السحرة، ومعنى لا تستطيعها: لا تستطيع النفوذ في قارئها، أو لا يمكنهم حفظها^(٥).

* أنظر الروايات الدالة على مدنية سورة البقرة، وبعض روايات أسباب النزول الدالة على مدنيتهما في:

المكي والمدني في القرآن الكريم: دراسة تأصيلية نقدية للسور والآيات من أول القرآن الكريم إلى نهاية سورة الإسراء، عبد الرزاق حسين أحمد، م (١)، دار ابن عفا للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م، ص ٣٧٣ - ٣٨٠.

١ - تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي، ج (١)، دار الآثار للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م، ص ٩٨.

٢ - فتح الباري بشرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق عبد العزيز بن عبد الله بن باز، ج (٨)، دار الحديث، القاهرة، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م، ص ١٩٩.

** أنظر تفصيل الأحاديث والآثار الواردة في فضائل سورة البقرة في:

الأحاديث والآثار الواردة في فضائل سور القرآن الكريم: دراسة ونقد، إبراهيم علي السيد، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م، ص ١٦٣ - ١٩٦.

٣ - سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م، كتاب ثواب القرآن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب ما جاء في فضل سورة البقرة وآية الكرسي، ح (٢٨٧٧)، ص ٦٤٣، وصححه الألباني.

٤ - صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة، ح (٨٠٤)، ص ٣٨٣.

٥ - تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل، محمد جمال الدين القاسمي، مرجع سابق م (١)، ص ٢٣٦.

وقال صلى الله عليه وسلم: «يُؤْتَى بِالْقُرْآنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَهْلِهِ الَّذِينَ كَانُوا يَعْمَلُونَ بِهِ تَقْدُمُهُ سُورَةُ الْبَقَرَةِ وَالْ عِمْرَانَ ...»^(١).

وقد جمعت سورة البقرة من وشائج أغراض السور ما كان مصداقاً لتلقيها فسطاط القرآن كما قال خالد بن معدان؛ والفسطاط ما يحيط بالمكان لإحاطتها بأحكام كثيرة، ومعظم أغراضها ينقسم إلى قسمين: قسم يُثبت سمو هذا الدين على ما سبقه وعلو هديه وأصول تطهيره النفوس، وقسمٌ يبين شرائع هذا الدين لأتباعه وإصلاح مجتمعاتهم^(٢). وقال بعض العلماء: وسورة البقرة مشتملة على ألف خير، وألف أمر، وألف نهي^(٣).

وتمتاز سورة البقرة بأنها تحدثت عن أركان الإسلام الخمسة: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١﴾﴾ (البقرة: ٢١)، ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴿٢٣٨﴾﴾ (البقرة: ٢٣٨)، ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفِيعَةٌ ﴿٢٥٤﴾﴾ (البقرة: ٢٥٤)، ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾﴾

(البقرة: ١٨٣) ، ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴿١٩٦﴾﴾ (البقرة: ١٩٦) ، كما أن حلال المتقين التي أحصتها سورة البقرة كثيرة، فقد تكررت مادة التقوى خلال السورة بضعاً وثلاثين مرة، لا تشبهها في ذلك سورة أخرى^(٤)؛ والتقوى هي بالفعل تجمع بين الإيمان بالله وحسن الخلق، وكلا الأمرين يؤديان إلى رُشد التفكير وعمق التعقل؛ لأن من يستخدم عقله بصفاء قلب وإخلاص نية لا بُدَّ أن يتجه على الفور إلى الله، وهو إذ يتجه إلى الله يجد أن شرط ذلك أن يكون على خُلُقٍ عظيم^(٥).

وتألف سورة البقرة على طولها من: مقدمة، وأربعة مقاصد، وخاتمة على هذا الترتيب:

المقدمة: في التعريف بشأن هذا القرآن، وبيان أن ما فيه من الهداية قد بلغ حدًا من الوضوح لا يتردد فيه ذو قلب سليم، وإنما يعرض عنه من لا قلب له، أو كان في قلبه مرض، ثمَّ عرض لمقاصد السورة الأربعة

-
- ١ - صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة، ح (٨٠٥)، ص ٣٨٤.
 - ٢ - تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، م (١)، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، ١٤٢٧ هـ - ١٩٩٧ م، ص ٢٠٣.
 - ٣ - تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي، مرجع سابق، ج (١)، ص ٩٨.
 - ٤ - نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم، محمد الغزالي، مرجع سابق، ص ١١ - ١٢.
 - ٥ - الحوار منهجًا وثقافةً، سعيد إسماعيل علي، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م، ص ٨٠.

وهي: دعوة الناس كافة إلى اعتناق الإسلام، ودعوة أهل الكتاب خاصة إلى ترك باطلهم والدخول في هذا الدين الحق، وعرض شرائع هذا الدين تفصيلاً، وذكر الوازع والنازع الديني الذي يبعث على ملازمة تلك الشرائع ويعصم عن مخالفتها، وأخيراً خاتمة تناولت التعريف بالذين استجابوا لهذه الدعوة الشاملة لتلك المقاصد، وبيان ما يُرجى لهم في آجلهم وعاجلهم^(١).

المحور الثاني: قواعد وأسس تربية العقل المسلم المستنبطة من تدبر سورة البقرة

يقوم منهج التربية في القرآن الكريم على أساس أن الله عز وجل هو الخبير بطبيعة الإنسان الذي خلقه، العليم بما يصلحه: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ (١٤) (الملك)، ومن ثمَّ يُحدد هذا المنهج - من خلال تدبر سورة البقرة - مجموعة من القواعد والأسس لتربية العقل المسلم، ومن أبرزها ما يلي:

١- وضع المنهج الصحيح للنظر العقلي

وذلك من خلال:

أ- القدرة على إصدار الأحكام بناء على الحجة والبرهان

قال تعالى: ﴿الْم ١﴾ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ (البقرة)، فقد بدأت سورة البقرة بثلاثة أحرف مقطعة لا عهد للعرب بتصدير مثلها في الإنشاء، ومهما يكن من أمر المعنى الذي قصد إليه بهذه الأحرف، فإن تقديمها بين يدي الخطاب من شأنه أن يوقظ الأسماع ويوجه القلوب لما بعدها، وقد ألحقت بهذه الأحرف الثلاث جملاً ثلاثاً: أما أولاهن فإعلان للسامع أن ما سيتلى عليه الآن هو خير كتاب أُخرج للناس، وأنه ليس في الوجود ما يصلح أن يُسمى كتاباً بالقياس إليه ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ﴾، وأما الأخريان فيدعمان هذا الحكم بالحجة والبرهان، أليس تفاضل الكتب إنما هو بمقياس ما تحويه من حق لا يشوبه باطل، أو ليس كمال هذا الحق أن يكون تيّراً لا يثير شبهة، أو ليس أكمل الكمال بعد هذا وذاك أن يكون ذلك الحق مما تمس إليه حاجة الناس في إنارة السبيل وإقامة الدليل إذا ما اشتبهت عليهم السبيل وتفرقت المسالك؛ فذاككم القرآن هو جماع هذه الفضائل الثلاث: فهو الحق المحض الذي لا باطل فيه، بل هو الحق اللائح الذي لا شبهة باطل فيه، ثمَّ هو بعد ذلك الهدي المبين الذي يخرج الناس من الظلمات إلى النور ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾، وهكذا كان موقع هذه الجمل الثلاث بعد تلك الأحرف الثلاثة موقع التنويه بالمقصود بعد التنبيه إليه^(٢).

١ - النبأ العظيم: نظرات جديدة في القرآن، محمد عبد الله دراز، دار الثقافة، الدوحة، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م، ص

٢ - النبأ العظيم: نظرات جديدة في القرآن، محمد عبد الله دراز، مرجع سابق، ص ١٦٤.

فقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَارِيْبٍ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ (٢)؛ أي لا أي احتمال لذرة شك فيما ورد بالقرآن، وهو يهدي ويوجه ويُعلِّم من يفهمه حق الفهم، بعد أن يتلوه حق تلاوته^(١).
 "ومن الأولويات المسلم بما أن العقائد لا تتكون في نفوس العقلاء بالقوة والقهر، ولكن لها وسائل معروفة لا تلتبس إلا بها، وفي مقدمتها البرهان العقلي"^(٢)، وفي سورة البقرة إشارة إلى ضرورة إقامة الدليل والبرهان في كل قضية عقلية يتبناها الإنسان، قال عز وجل: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (البقرة)، "والبرهان: الدليل الذي يوقع اليقين"^(٣).

وقد أقرَّ الله سبحانه وتعالى في هذه الآية قاعدة لا توجد في غير القرآن من الكتب السماوية، وهي أنه لا يُقبل من أحد قول لا دليل عليه، ولا يحكم لأحد بدعوى ينتحلها بغير برهان يؤديها، ذلك أن الأمم التي خوطبت بالكتب السالفة لم تكن مستعدة لاستقلال الفكر ومعرفة الأمور بأدلتها وبراهينها، ولذلك اكتفى منهم بتقليد الأنبياء فيما يبلغونهم وإن لم يعرفوا برهانه، فهم مكلفون أن يفعلوا ما يؤمرون، سواء عرفوا لماذا أمرو أم لم يعرفوا^(٤)، ولكن القرآن يخاطب من أنزل عليه بمثل قوله: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ (يوسف ١٠٨)، أي أدعو إلى دينه مع حجة واضحة^(٥).

ب- تحرير العقل من التبعية والتقليد

وقد أنكر القرآن الكريم على هؤلاء الذين يقلدون آباءهم وغيرهم من غير أعمال عقولهم فيما يصح وما لا يصح مما يقلدون، فقال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾ (البقرة ١٦٥).

١ - العقل التربوي العربي: من الأزمة إلى الإصلاح، سعيد إسماعيل علي، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، ١٤٣٢ هـ - ٢٠١١ م، ص ٣٢.

٢ - الإسلام دين الفطرة، عبد العزيز جاويش، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م، ص ١٧٩.

٣ - الجامع لأحكام القرآن، مرجع سابق، ج (٢)، ص ٨٢.

٤ - تفسير القرآن الحكيم المشهور بتفسير المنار، محمد رشيد رضا، ج (١)، خرّج آياته وأحاديثه وشرح غريبه إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م، ص ٣٤٥.

٥ - تفسير الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن محمد الزمخشري، م (٢)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م، ص ٤٨٩.

وقال عز وجل: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا أَوَّلُوا

كَانَ ءَابَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي

يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمُّ بَكُمْ عَمِي فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧١﴾ (البقرة).

﴿مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا﴾ وهي قوله متهافتة لا تستند إلى قوة؛ إنها مجرد المحاكاة ومحض التقليد، بلا تدبر ولا تفكر ولا حجة ولا دليل، وهي صورة مزرية تشبه صورة القطيع يمضي حيث هو منساق، ولا يسأل: إلى أين نمضي؟ ولا يعرف معالم الطريق! وكذلك فهي حالة تمثل التحجر العقلي والنفسي؛ إذ لا تقوم على علم ورؤية، ولا تعتمد على تفكير^(١).

فهل يُقدم الذين يريدون السير على سُنَّةِ أسلافهم على الانقياد الأعمى لهم دون تمييز^(٢)، حتى

ولو ﴿كَانَ ءَابَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾، أي لا يستعملون عقولهم في شيء مما يجب العلم به، بل يكتفون فيه كله بالتسليم من غير نظر ولا بحث^(٣).

وقد وصفتهم الآيتان الكريمتان بأنهم يقلدون آباءهم على غير وعي؛ لأن آباءهم لم يكونوا يعقلون شيئاً ولا يهتدون إلى حق أو صواب، وأنهم في جحدهم الحق الذي أنزله الله عز وجل عليهم كمثل راعي الغنم يناجئها فلا تفقه عنه شيئاً، فكانوا كالصم البكم العمي الذين عطلوا حواسهم، فتعطلت عقولهم، فأصبحوا لا يعقلون^(٤).

إن التمسك بالأفكار القديمة، وبما جرى عليه العرف والتقاليد، من العوامل الهامة التي تسبب جمود التفكير وعدم تقبله لما يعرض عليه من أفكار جديدة، والإنسان يميل عادة إلى التمسك بما هو مألوف لديه، وبما اعتاده من قبل ودرج عليه، ويصبح تحليه عن عاداته وأفكاره القديمة أمراً يحتاج إلى قدر من الجهد والإرادة والعزم، كما يتطلب القدرة على النظر إلى الأمور نظرة تحليلية محايدة تمكنه من التمييز بين الحق والباطل، وليس هذا أمراً يسيراً على كثير من الناس^(٥).

ج - الاعتماد على المشاهدة الحسية والمعرفة اليقينية

١ - في ظلال القرآن، سيد قطب، مرجع سابق، م (٥)، ص ٣١٨٢.

٢ - دستور الأخلاق في القرآن: دراسة مقارنة للأخلاق النظرية في القرآن، محمد عبد الله دراز، ط (١٠)، تعريب وتحقيق وتعليق عبد الصبور شاهين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م، ص ٢٥.

٣ - تفسير القرآن الحكيم المشهور بتفسير المنار، محمد رشيد رضا، مرجع سابق، ج (٢)، ص ٧٤.

٤ - التربية العقلية، علي عبد الحليم محمود، مرجع سابق، ص ٣٩.

٥ - القرآن وعلم النفس، محمد عثمان نجاتي، ط (٦)، دار الشروق، القاهرة، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م، ص ١٤٨.

﴿ فَأَمَّا تَهُ اللَّهُ مِائَةً عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ ۖ ﴾ فلم يقل له كيف، إنما أراه في عالم الواقع كيف؛ فالمشاعر والتأثرات تكون أحياناً من العمق بحيث لا تعالج بالبرهان العقلي، ولا حتى بالمنطق الوجداني، ولا تعالج كذلك بالواقع العام الذي يراه العيان؛ إنما يكون العلاج بالتجربة الشخصية الذاتية المباشرة، التي يمتلئ بها الحس، ويطمئن بها العقل والقلب، دون كلام! وتبعاً لطبيعة التجربة، وكونها تجربة حسية واقعية، فلا بُدَّ أن تكون هنالك آثار محسوسة تصور فعل مائة عام؛ هذه الآثار المحسوسة لم تكن في طعام الرجل ولا شرايه، فلم يكونا آسنين متعفين، وإذن فلا بُدَّ أن هذه الآثار المحسوسة كانت متمثلة في شخصه أو في حمارة^(١): ﴿ فَأَنْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهٖ وَأَنْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ ۖ وَأَنْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۖ ﴾

كذلك من نماذج الإثبات عن طريق المشاهدة الحسية الواقعية ما جاء في قصة ذبح البقرة؛ فلقد كشف الله عز وجل لقوم موسى عن الحكمة من ذبح البقرة، لقد كانوا قد قتلوا نفساً منهم؛ ثم جعل كل فريق يدرأ عن نفسه التهمة ويلحقها بسواه، ولم يكن هناك شاهد؛ فأراد الله سبحانه وتعالى أن يظهر الحق على لسان القتل ذاته؛ وكان ذبح البقرة وسيلة إلى إحيائه، وذلك بضربه ببعض من تلك البقرة الذبيح، فعادت إليه الحياة، ليخبر بنفسه عن قاتله، وليجلو الريب والشكوك التي أحاطت بمقتله؛ وليحق الحق ويبطل الباطل بأوثق البراهين^(٢): ﴿ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾ ﴾ (البقرة)؛ أي لأجل أن تعقلوا وتفهموا عن الله تبارك وتعالى آياته^(٣).

إن تكرار عرض آراء وأفكار معينة على الناس يؤدي عادة إلى استقرار هذه الآراء والأفكار وتثبيتها في أذهان الناس، ولذا فطنت المؤسسات التجارية والصناعية إلى أهمية التكرار في تثبيت الفكرة في أذهان الناس، فقاموا بإنفاق الأموال الطائلة على الإعلانات التجارية التي تقوم بتكرار عرض أفكار معينة على الناس بهدف التأثير في اتجاهاتهم لترويج سلعهم التجارية^(٤).

د- احترام إرادة الإنسان وعقله

١ - المرجع السابق، ص ٣٠٢.

٢ - في ظلال القرآن، سيد قطب، مرجع سابق، م (١)، ص ٧٩.

٣ - تفسير القرآن الكريم: سورة البقرة، محمد بن صالح العثيمين، ج (١)، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م، ص ٢٤٠.

٤ - القرآن وعلم النفس، محمد عثمان نجاتي، مرجع سابق، ص ١٧٦.

قال تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (البقرة).

قال ابن كثير: أي لا تكرهوا أحداً على الدخول في دين الإسلام؛ فإنه بين جليّ دلائله وبراهينه، لا يحتاج إلى أن يُكره أحد على الدخول فيه، بل من هداه الله للإسلام وشرح صدره ونور بصيرته دخل فيه على بينة^(١).

إن الإيمان هو أصل الدين وجوهره عبارة عن إذعان النفس، وهو يقوم على الاقتناع والحجة والبرهان، ويستحيل أن يكون الإذعان بالقسر والإلزام والإكراه^(٢).

وقضية العقيدة - كما جاء بها هذا الدين - هي قضية اقتناع بعد البيان والإدراك؛ وليست قضية غضب وإجبار، ولقد جاء هذا الدين يخاطب الإدراك والكيان البشري بكل قواه وطاقاته؛ يخاطب العقل المفكر، ويخاطب الوجدان المنفعل، كما يخاطب الفطرة المستكنة؛ في غير قهر حتى بالخارقة المادية التي قد تلجئ مشاهدتها إجماعاً إلى الإذعان^(٣).

قال تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ وفي هذا المبدأ تكريم للإنسان؛ واحترام إرادته وفكره وعقله ومشاعره؛ وترك أمره لنفسه فيما يختص بالهدى والضلال في الاعتقاد؛ وتحمله تبعه عمله، وهذه هي أخص خصائص التحرر الإنساني^(٤).

وبناء على ما سبق، فإن إحدى القواعد الرئيسة لتربية العقل المسلم تكمن في تنشئته على اعتماد الأدلة والبراهين والحجج لإثبات صحة ما يتبناه من آراء وموضوعات، حتى يحقق قدرًا معقولاً من مصداقية الحديث وموضوعيته. وفضلاً عن ذلك، فإن توفر البراهين يساعد في فهم واستيعاب ومواجهة حجج الخصم والرد عليها بكل حكمة والبعد عن التعصب. كما ينبغي تربية العقل على الاحترام لا الإكراه والإجبار، وذلك من خلال الحوار والإقناع، وعرض الأدلة بمختلف أنواعها، ومناقشة آراء المختلفة ليتوصل العقل بنفسه إلى الحقيقة.

فالعقل المسلم مطالبٌ بأن لا يأخذ دائماً بما يظهر له لأول وهلة، بل لا بُدَّ من التمعق، وأن لا يُردد ما ينقله الآخرون كالبيغاوات أو العجماوات من غير نظر ولا حجة ولا دليل؛ بل لا بُدَّ أن يُفكر بعقله هو لا بعقول الآخرين، أو عقول المجتمع الذي يعيش فيه، ومن هنا يجيء أهمية التفكير الناقد، وأهمية الحوار في تعريف هذا وذاك مما يتعرض له العقل من آراء وموضوعات للنقاش والتحليل ليميز الغث من

١ - تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي، مرجع سابق، ج(٢)، ص ٢٠.

٢ - تفسير القرآن الحكيم المشهور بتفسير المنار، محمد رشيد رضا، مرجع سابق، ج (٣)، ص ٣١.

٣ - في ظلال القرآن، سيد قطب، مرجع سابق، م (١)، ص ٢٩١.

٤ - في ظلال القرآن، سيد قطب، مرجع سابق، م (١)، ص ٢٩٢.

الشمين. وفضلاً عن ذلك، فإن توافر الأدلة والبراهين المحسوسة مما يُعين العقل على قوة اليقين، ووضوح رؤيته، ورسوخ أفكاره، وصحة القول الذي يتبناه؛ إذ إن العقل لا يرضى من الوعي والمعرفة بما دون اليقين، كما أن تكرار أفكار وآراء معينة وبصور مختلف يسهم في تثبيت هذه المعلومات في عقول الأفراد.

٢- استنهاض قدرات العقل الإنساني

يشير القرآن الكريم إلى العقل ومشتقاته ومترادفاته ومعانيه المختلفة مستخدمًا لذلك كل الألفاظ التي تدل عليه أو تشير إليه من قريب أو بعيد من اللب، والقلب، والحجر، والتفكير، والتدبر، والتذكر، والنظر، والفقّه إلى غير ذلك من الكلمات والألفاظ التي تدور حول مرادفات العقل ووظائفه على اختلاف معانيها وخصائصها^(١).

وقد جاءت آيات في سورة البقرة يدعوننا من خلالها الله عز وجل إلى استثمار قدرات العقل ووظائفه، ومن ذلك:

أ- آيات تدعو إلى النظر، بمعنى التأمل والتبصر لتنشيط الطاقات المدركة في الإنسان، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوها لَحْمًا﴾

ففي الآيات دعوة للعقل للتأمل والنظر في الآيات على وجه الإجمال والتفصيل؛ لقوله تعالى:

﴿وَانظُرْ إِلَى حِمَارِكَ﴾ مطلق؛ ثم قال تعالى: ﴿وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوها لَحْمًا﴾ البقرة: ٢٥٩؛ فيقتضي أن يتأمل العقل أولاً في الكون من حيث العموم، ثم من حيث التفصيل؛ فإن ذلك يزيد إيمان المسلم، كما أن العقل بالتدبر، والتأمل، والنظر يتبين له من آيات الله عز وجل ما لا يتبين لو غفل؛ لقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ﴾ البقرة: ٢٥٩، كما أنه يلزم من النظر في الآيات العلم، واليقين^(٢)؛ لقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ

قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾ البقرة: ٢٥٩.

ب - آيات تدعو إلى التفكير، وقد جاءت في موضعين: الأول: عند الحديث عن المرحلة الثانية من

مراحل تحريم الخمر وحرمة القمار، فقال سبحانه وتعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ

١ - فلسفة الحضارة الإسلامية، أحمد عبد الرحيم السايح، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بوزارة الأوقاف، القاهرة،

١٤١٠ هـ - ١٩٨٩ م، ص ١٠٣.

٢ - تفسير القرآن الكريم: سورة البقرة، محمد بن صالح العثيمين، مرجع سابق، ج (٣)، ص ٢٩٦ - ٢٩٧.

فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ
الْعَفْوُ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾ (البقرة).

ففي ذلك الوقت، كان الله عز وجل يأخذ بيد هذه الجماعة الناشئة خطوة خطوة في الطريق الذي أراده لها، ويصنعها للدور الذي قدره لها، وهذا الدور العظيم لا تتلاءم معه، ولا تناسبه بعثرة العمر، والوعي، والجهد في الخمر والميسر^(١).

ومن ثمَّ حتم الله عز وجل الآية بقوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ ﴿٢١٩﴾؛ و"التفكر" أعمال الفكر للوصول إلى الغاية^(٢)، وفي الآية إشارة إلى ضرورة استخدام الفكر فيما فيه مصلحة العقل في الدنيا والآخرة.

والثاني: عندما ضرب الله عز وجل مثلاً للإِنفاق لمرضاة الله والإِنفاق لغير وجه الله، فقال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّتٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَكَانَتْ أُكْلَهَا ضَعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطُلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ ﴿٢١٦﴾ أَيُودٌ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَةٌ ضِعْفَاءُ فَاصْبَابُهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٦﴾ (البقرة).

وفي الآيتين مثالان واضحاں يوجبان من العقل المسلم التأمل والتفكر والمقارنة، ولا شك بأن كل مؤمن عاقل يختار الموقف الأول، فيجعل نفقته خالصة لوجه الله تعالى؛ لأن ما عند الله عز وجل خير وأبقى أو أنفع وأخلد، وأما المنفق لغير وجه الله فيتلاشى عمله سراعًا في الدنيا، ولا يجد له ثمرة في الآخرة. وقوله جل جلاله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ ﴿٢١٦﴾ أي في العواقب؛ فتعظوا بما اشتملت عليه من الأمثال والمعاني والعبير، وتنزلوها على المراد بها، فتقصدا بنفقاتكم أن تكون خالصة لوجه الله تعالى، دون أن يصاحبها رياء أو منّ وأذى^(٣)، كما قال تعالى ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ ﴿٤٣﴾ (العنكبوت)، والعقل هنا بمعنى الفهم، أي لا يفهم مغزاها إلا الذين كملت عقولهم، وفي هذا تعريض بأن الذين لم ينتفعوا بها جهلاء العقول^(٤).

١ - في ظلال القرآن، سيد قطب، مرجع سابق، م (١)، ص ٢٢٩.

٢ - التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، وهبة الزحيلي، مرجع سابق، ج (٢)، ص ٧٠.

٣ - التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، وهبة الزحيلي، مرجع سابق، ج (٣)، ص ٥٥.

٤ - تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، مرجع سابق، م (١٠)، ص ٢٥٦.

ج - آيات تدعو إلى التذكر، بمعنى الاعتاظ والاعتبار، ومنها قوله سبحانه وتعالى في معرض الحديث عن زواج المسلم بالمشركة: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَ ۚ وَلَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ۚ وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا ۚ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ۚ أُولَٰئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ ۚ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ ۚ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٣٣﴾﴾ (البقرة).

إن الزواج أعمق وأقوى وأدوم رابطة تصل بين اثنين من بني الإنسان، وتشمل أوسع الاستجابات التي يتبادلها فردان؛ فلا بُدَّ إذن من أن تتوحد القلوب فيما تنعقد عليه، وما تتجه إليه، والعقيدة الدينية هي أعمق وأشمل ما يعمر النفوس، ويؤثر فيها، ويكيف مشاعرها، ويُحدد تأثراتها واستجاباتها، ويعين طريقها في الحياة كلها. ومن ثمَّ فلما أراد الله عز وجل للجماعة المسلمة أن تستقل في المدينة، وتتميز شخصيتها الاجتماعية كما تميزت شخصيتها الاعتقادية، نزلت هذه الآية تُحرم إنشاء أي نكاح جديد بين المسلمين والمشركين، فمن لم يتذكر، واستجاب لتلك الدعوة فهو الملوم! ^(١)

قال تعالى: ﴿وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ۚ﴾، فالله عز وجل يوضح آياته وأحكامه وأدلتها للناس، ليتذكروا فيميزوا بين الخير والشر، ولتعضوا فلا يخالفوا أمره، ولا يسيروا بأهوائهم أو وراء الشيطان؛ لأن ذكر الأحكام بأدلتها يكون أدمى لقبولها والرضا بها والمبادرة إلى تنفيذها ^(٢). يتضح مما سبق، أنه لا بُدَّ من استنهاض قدرات العقل الإنساني وحُسن توظيفها واستغلالها؛ إذ إنها الوسائل والأدوات التي من خلالها يتمكن العقل من الفهم والتأمل والنظر والتذكر والتفكير والتعلم. وفضلاً عن ذلك، فإنها تؤدي إلى تنشيط الطاقات الواعية والمدركة في الإنسان، بما يسهم في إيقاظ العقل حتى يتسنى له أداء المهام المنوطة به.

٣- الدعوة إلى التأمل في نواميس الكون

يقول سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ

١ - في ظلال القرآن، سيد قطب، مرجع سابق، م (١)، ص ص ٢٣٩ - ٢٤٠.

٢ - التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، وهبة الزحيلي، مرجع سابق، ج (٢)، ص ٢٩٢.

لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾ (البقرة)، فلو ألقى الإنسان عن عقله بلادة الألفة والغفلة، واستقبل مشاهد

الكون بحس متجدد، ونظرة مستطلعة، وقلب نور الإيمان، لانتفع بالقرآن كما ينبغي^(١).

ومن الثابت أن من أهم مشكلات العقل البشري ذلك (الإلف) الذي يحدث بين العقل وبين الأشياء التي يحتك بها على نحو مستمر؛ إذ تجعله يتعوّد نوعاً من (اللامبالاة) في فهم عجائب الخلق وأسرار الوجود، وهذا يدفعه نحو الكف عن البحث والتساؤل ومحاوله فهم أعماق الأحداث والأشياء، وهذا الإعراض يشكل أهم مصدر من مصادر تبلد الذهن وتباطؤ حركة الفكر، ولهذا فإن كثيراً من الآيات القرآنية تحض الناس على تجاوز النظر السطحي والقريب للأشياء إلى محاولة فهم الأسباب والجدور والدقائق؛ وذلك حتى يتعرف الإنسان أكثر فأكثر قدرة الخالق سبحانه وتعالى^(٢).

وإذا كان الله قد خلق لنا هذا الكون بما فيه من كائنات، وبمن فيه من البشر، وجعل الإنسان في الوقت نفسه خليفة له في الأرض، فإننا -نحن البشر- نتحمل المسؤولية عن هذا الكون والتعمق في دراسته وفهم أسرار حتى ندرك آيات الله في الكون وفي الإنسان، فليس هناك شيء في هذا الكون يسير بطريقة عشوائية أو بمحض الصدفة^(٣).

وإن الإنسان من خلال مهارة التأمل يوظف فكره كما أمره الله تعالى، ويكون بصيراً بما يتأمله ويقف عليه؛ ذلك أن للتأمل بابين واسعين: "الباب الأول: التفكير والتأمل في آيات القرآن الكريم كلها، والفهم الخاص عن الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، والباب الثاني: التفكير في آياته المشهودة، وتأمل حكمته فيها وقدرته ولطفه وإحسانه وعدله وقيامه بالقسط على خلقه"^(٤).

والإنسان مطالب بأن (يتحرك) في تنفيذ متطلبات استخلافه العمراني (أو الحضاري) على الأرض، وهذا لن يتأتى إلا بالنظر العميق في ملكوت السموات والأرض، والدراسة المتأنية لنواميسه وقوانينه وأسراره، والسعي الدائم وفق أشد الأساليب العلمية تجريبية، للكشف عن هذه النواميس

١ - في ظلال القرآن، سيد قطب، مرجع سابق، م (١)، ص ١٥٣.

٢ - التفكير في المفقود، عبدالكريم بكار، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، ١٤٣١ هـ - ٢٠١٠ م، ص ٢٨.

٣ - الفكر الديني وقضايا العصر، محمود حمدي زقزوق، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢ م، ص ٤٠.

٤ - الفوائد، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية، علّق عليه محمد محمد تامر، دار التقوى للتراث، القاهرة، (د.ت)، ص ٢٤.

والقوانين والأسرار من أجل فهم أكثر لقدرات الله الخلاقة وإيمان أعمق به، ومن أجل استخدامها لتطوير الحياة على الأرض، ومواصلة العمران، وتحقيق مفهوم الاستخلاف على كل المستويات^(١).

وقد منح الله عز وجل الإنسان أدوات التعلم والتعرف على حقائق الأمور، وصفات الأشياء وخصائصها، وذلك ليتابع في حياته بحثة العلمي السليم ليكتشف أسرار هذا الكون، وحتى يحسن الانتفاع مما بث الله له في هذا الكون من قوى وخيرات، أما الذين يعطلون أدوات المعرفة التي وهبهم الله إياها، أو يستخدمونها في حدود ظواهر الحياة الدنيا فقط، ثم لا ينتقلون من ذلك إلى معرفة خالقهم، فأحرى بهم أن يُقال عنهم صم بكم عمي فهم لا يعقلون، وذلك لأنهم قد عطلوا هذه الأدوات التي منحهم الله إياها عما خلقت من أجله، فهو وفاقدوها سواء^(٢).

ومن ثمّ، فلا بُدّ للإنسان أن يلتزم باستمرار التأمل، لا يغفل عن ذلك أبداً؛ لأنه إن تركه تبدلت ذاته وانقطع عنها مادة كل خير، ورجعت إلى رتبة البهائم، وإذا تعودت منذ الصغر عليه، انست بالحق ونبا طبعها عن الباطل^(٣).

ويدل ما مضى على أن التأمل في نواميس الكون يربي عقل الإنسان وسمعه وبصره ومشاعره، بالآيات على حُسن الإدراك، وعلى الاستبصار، واستخدام الحواس وإرهافها، لتوصله إلى معرفة مسبب الأسباب، ومعرفة الحق في كل النتائج والأسباب، فالتأمل في نواميس الكون يتطلب من الإنسان إيقاظ حسه بالجمال والتناسق والكمال، ويدعوه إلى التفتُّح، لتكوين خبرات ومدركات جديدة عن الكون وأسراره وقوانينه وسننه، وهذا يدفعه إلى التساؤل عن مقنن هذه القوانين ومنظمها^(٤).

وخلاصة ما سبق، فإن الدعوة إلى التأمل في نواميس الكون كفيلة بأن توقظ العقل المسلم من سباته، لتدفع به إلى معرفة خالق هذا الكون ومدبره، بما يضبط سلوكه وعمله وعبادته. وفضلاً عن ذلك فإن التدبر والتفكير في تلك النواميس التي تسير بنظام لا يختل، يُعود العقل على دقة النظر، وانضباط الأحكام، وتطبعه بطابع الدقة والتنظيم؛ فعن طريق النظر إلى الدقة والتنظيم والترابط في الكون يحاول العقل ربط أفكاره وإيجاد العلاقات، والوصول إلى الكليات التي تحكم الجزئيات.

١ - التفسير الإسلامي للتاريخ، عماد الدين خليل، ط (٥)، دار العلم للملايين، بيروت، ١٤١٢ هـ - ١٩٩١ م، ص ٢٠٩.

٢ - أسس الحضارة الإسلامية ووسائلها، عبد الرحمن حبنكة الميداني، مكة المكرمة، (د.ت)، ص ٢٨٩.

٣ - تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، أحمد بن محمد بن يعقوب بن مسكويه، تحقيق ابن الخطيب، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٧ م، ص ١٨٧ - ١٨٨.

٤ - التربية بالآيات، عبد الرحمن النحلاوي، مرجع سابق، ص ٣٧ - ٣٨.

٤- الدعوة إلى الحوار الهادف البناء

يُعدُّ الحوار شكلاً من أشكال تلاقح العقول، مما لا بُدَّ أن تنتج أفكار جديدة وتوضح علاقات كانت مجهولة، وتبرر تفسيرات توضح ما كان مستغلماً على الفهم، ويقدم معلومات كانت غائبة عن بعض أطراف الحوار^(١).

والحوار القرآني حوار رباني يخاطب الله عز وجل فيه عباده، يأمرهم وينهاهم ويهديهم يرشدهم، وقد أراد الله سبحانه وتعالى لهم أسلوب الحوار ليشعرهم بمكانتهم عند ربه، وليستخدموا نعمة العقل والتمييز بين الحق والباطل، إذ يدعوهم إلى اعتناق الحق بعد أن بينه لهم، ويحذرهم من الشر والباطل، وقد أوضح لهم معبئتهما ونتائجهما، كما يدعوهم إلى تصحيح مسارهم وسلوكهم في الحياة على ضوء ذلك، كل ذلك بأسلوب حوار خطابي رصين^(٢).

وقد تعددت صور الحوار في سورة البقرة، ومن ذلك ما جاء في قصة آدم عليه السلام؛ فهناك حوار بين الله والملائكة، وحوار بين الله تعالى وآدم، وحوار بين الله عز وجل وعدو الإنسان بليس، ومن خلال ذلك يتأكد الإنسان أن الحوار من الوسائل الثابتة في كل عملية تعليمية أو جدلية، أو اكتشافية^(٣).

ومن ذلك -أيضاً- الحوار بين موسى عليه السلام وقومه من بني إسرائيل، فبعد تعديد نعم الله عز وجل على بني إسرائيل، ووصايا الله المتعددة، ووصايا موسى عليه السلام فإنهم أبوا إلا أن يستمروا في غيهم وانحرافهم.

قال سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَنْقُومِ إِيَّاكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجَلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِيكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِيكُمْ فَنَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾ وَإِذْ قُلْتُمْ يَمْوَسَىٰ لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَىٰ اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ نُنظَرُونَ ﴿٥٥﴾﴾ (البقرة)، وفي موضع آخر يقول عز وجل: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقْرَةً قَالُوا أَنْتُمْ نَحْنُ الَّذِينَ هُمْزُوا قَالِ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقْرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا يَكْرُ عَوَانُ بَيْنَ ذَلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٦٨﴾ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْ هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقْرَةٌ صَفْرَاءُ

١ - السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ رُؤْيَا تَرْبُويَّة، سعيد إسماعيل علي، مرجع سابق، ص ٤٠٦.

٢ - التربية بالحوار، عبد الرحمن النحلاوي، دار الفكر، دمشق، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م، ص ٩.

٣ - العلم وأهله في الحديث النبوي الشريف، محسن بن محمد بن سعيد عبد الناظر، مؤسسة الريان، بيروت، ١٤١٩ هـ

فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسْرُ النَّظِيرِينَ ﴿٦٩﴾ قَالُوا أَدْعُ لَنَا رَبِّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقْرَ تَشَبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَا شِيَةَ فِيهَا قَالُوا لَئِن جِئْتِ بِالْحَقِّ فَدَجَّبُوهُمَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾ ﴿البقرة﴾.

ومن الواضح أنهم لا يدخلون في حوار بهدف الوصول إلى نهاية يستقر عندها العقل ويطمئن القلب، ولكنه حوار من ذلك النوع الذي ينم عن تعنت وتعسف في استخدام حق التساؤل والطلب وإبداء الرأي^(١).

ومن نماذج الحوار التي جاءت في سورة البقرة ما دار من حوار بين إبراهيم عليه السلام والنمرود -بالدال المهملة في آخره، ويُقال بالدال المعجمة^(٢)-، قال عز وجل: ﴿الَّذِي تَرَى إِلَى اللَّهِ جَحْجَاحًا وَإِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالسَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٢٥٨﴾﴾ ﴿البقرة﴾.

فها هنا يقف إبراهيم عليه السلام، الذي يملك دليلاً قوياً على عظم قدرة الله عز وجل، أمام صاحب عقل مغلق متحجر لا يبصر الحق الذي يسطع أمام الأعين، فبينما يعي إبراهيم عليه السلام أن الإحياء هو بث الحياة وإبداعها، مما لا يستطيعه إلى الله عز وجل، يفهم هذا المتحجر أن الإحياء هو إتاحة الفرصة لهذا أو ذاك بأن يستمر في الحياة بحيث لا يتعرض لحكم بالإعدام والقتل، وأن الإماتة هي الإعدام والقتل. فلما تبين لإبراهيم عليه السلام بلادة عقل هذا الجهول وجمود ذهنه، وأنه يعجز عن فهم المعقولات الخالصة؛ لأنه منغمس في أدراج المادة التي تضع بينه وبين الحقائق العقلية المجردة حجاً كثيفاً، كان طبيعياً أن ينتقل من هذا الدليل إلى دليل آخر يكون في مستوى إدراكه^(٣).

وفي ذلك الحوار تربية للعقل على تجنب المجادلة والمرء فيما لا ينفع؛ فإن الذي حاج إبراهيم في ربه رأى في كونه حاكماً لقومه وقادراً على إنفاذ أمره فيهم بالحياة والموت مظهرًا من مظاهر الربوبية، فقال لإبراهيم: أنا سيد هؤلاء القوم وأنا المتصرف في شأنهم، فأنا إذن الرب الذي يجب عليك أن تخضع له، وتسلم بحاكميته: { ﴿٢٥٨﴾ ﴿٢٥٩﴾ ﴿٢٦٠﴾ ﴿٢٦١﴾ ﴿٢٦٢﴾ ﴿٢٦٣﴾ ﴿٢٦٤﴾ ﴿٢٦٥﴾ ﴿٢٦٦﴾ ﴿٢٦٧﴾ ﴿٢٦٨﴾ ﴿٢٦٩﴾ ﴿٢٧٠﴾ }.

١ - أسس الحوار في القرآن الكريم: دراسة في علاقة الإسلام باليهودية والمسيحية، هيرت بوسه، ترجمة أحمد محمود هويدي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م، ص ٧٦.

٢ - تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور، مرجع سابق، م (٣)، ص ٣٢.

٣ - القرآن العظيم: هدايته وإعجازه في أقوال المفسرين، محمد الصادق عرجون، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، (د.ت)، ص ٥٠.

وَالْمَيْسِرِ ﴿البقرة: ٢١٩﴾، وقوله جل جلاله: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الَّتِي تَعْلَمُ﴾ ﴿البقرة: ٢٢٠﴾، وقوله تعالى:

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ﴾ ﴿البقرة: ٢٢٢﴾.

إن هذه الكثرة من التساؤلات والإجابة عنها تكشف عن نزعة قرآنية متجهة نحو السؤال كمادة جوهرية في تربية الإنسان وتنشئته، وإلا كان بالإمكان التحلي عن طرح السؤال، لكن ذلك لم يكن ليكون؛ لأن الغاية المهمة هنا هي تنمية عقل وتنمية تفكير، ففي ذلك تنمية للإنسان كلية، وتربية لكل موضوع يتعرض له بالتفكير^(١).

كما أن هذه الأسئلة ذات دلالات شتى: فهي دليل على تفتح وحيوية ونمو في صور الحياة وعلاقتها، وبروز أوضاع جديدة في المجتمع الذي جعل يأخذ شخصيته الخاصة، ويتعلق به الأفراد تعلقاً وثيقاً؛ فلم يعودوا أولئك الأفراد المبعثرين، ولا تلك القبائل المتناثرة، إنما عادوا أمة لها كيان ونظام ووضع يشد الجميع إليه؛ ويهم كل فرد فيه أن يعرف خطوطه وارتباطاته، وهي حالة جديدة أنشأها الإسلام بتصوره ونظامه وقيادته على السواء، حالة نمو اجتماعي وفكري وشعوري وإنساني بوجه عام، وهي ثانياً دليل على يقظة الحس الديني، وتغلغل العقيدة الجديدة وسيطرتها على العقول، مما يجعل كل أحد يتحرج أن يأتي أمراً في حياته اليومية قبل أن يستوثق من رأي العقيدة الجديدة فيه، وهذه الحالة الشعورية هي الحالة التي ينشئها الإيمان الحق، عندئذ يتجرد العقل من كل مقرراته السابقة وكل مألوفاته، ويقوم على قدم الاستعداد لتلقي كل توجيه من العقيدة الجديدة، لتصوغ حياته الجديدة على أساسها^(٢).

فالسؤال للعلم والمعرفة مشروع بل مطلوب بقول الله تعالى: ﴿فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ

لَا تَعْلَمُونَ﴾ ﴿٧﴾ (الأنبياء)، والسؤال والإجابة بهذا الأدب القرآني حوار جيد معلم للعقل على التزام أدب الاختلاف مع الآخرين، فليس لأحد أن يتشبث برأيه، أو أن تسوء أخلاقه في التعامل مع من اختلف معه، وإنما يتجه لأهل العلم والذكر؛ يطلب منهم العلم والمعرفة، ويرضى بما يجيبونه به^(٣).

ويتضح مما سبق، أن الدعوة إلى المعرفة والتعلم عن طريق طرح التساؤلات تسهم بلا شك في الارتقاء بعقل المسلم وطريقة تفكيره، وتخفيفه على أعمال فكره فيما يعن له من أمور، فلا يكون إمعة يقبل كل شيء بلا تفسير أو تحليل أو تعليل، وإنما يتبنى طرح التساؤلات المختلفة ليتعرف على ما يجمله، فيزداد علماً ومعرفةً و يقيناً.

١ - الحوار منهجاً وثقافةً، سعيد إسماعيل علي، مرجع سابق، ص ٢٦٢.

٢ - في ظلال القرآن، سيد قطب، مرجع سابق، م (١)، ص ١٧٩.

٣ - التربية الإسلامية في سورة الأنفال، علي عبد الحليم محمود، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة، ١٤١٧ هـ -

٦- الدعوة إلى الاعتبار بقصص السابقين

لقد أراد الله عز وجل بهذا القرآن أن يكون هو الرائد الحي - الباقي بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم - لقيادة أجيال هذه الأمة، وتربيتها، وإعدادها لدور القيادة الذي وعدنا به، كلما اهتدت بهديه، واستمسكت بعهدنا معه، واستمدت منهج حياتها كله من هذا القرآن. ومن ثم فقد تضمن القرآن عرض تجارب الأمم والجماعات السابقة، وقدمها زاداً للأمة المسلمة في جميع أجيالها، كي تكون على بينة من طريقها، وكي تعتبر به في حاضرنا ومستقبلنا^(١).

ولذا، فلا يذكر القرآن قصة لبيان تاريخ حدوثها، ولا لأجل التفكه بها أو الإحاطة بتفصيلها، وإنما يذكره لأجل العبرة والتفكير والتدبر والموعظة، ولبيان سُنن الاجتماع^(٢)، قال عز وجل:

﴿ فَأَقْصِصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (الأعراف)، وقال جل شأنه: ﴿ لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ (يوسف ١١١)، وقال سبحانه وتعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرُ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَءِثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَعْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ (غافر).

وفي سورة البقرة نماذج للاعتبار بقصص السابقين، ومن ذلك ما جاء بشأن تجربة بني إسرائيل من بعد موسى عليه السلام، ورجبتهم القتال في سبيل الله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَأِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّ لَهُمْ أبعثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِينِنَا وَأَبْنَاؤُنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴾ (البقرة).

إن الحماسة الجماعية قد تخدع القادة لو أخذوا بمظهرها، فيجب أن يضعوها على محك التجربة قبل أن يخوضوا بها المعركة الحاسمة؛ فقد تقدم الملائم من بني إسرائيل إلى نبيهم في ذلك الزمان، يطلبون إليه أن يختار لهم ملكاً يقودهم إلى المعركة مع أعداء دينهم، فلما أراد نبيهم أن يستوثق من صحة عزيمتهم على القتال، وقال لهم: ﴿ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا ﴾ ٢٤٦ ، استنكروا عليه هذا القول، وارتفعت حماسهم إلى الذروة وهم يقولون: ﴿ وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي

١ - في ظلال القرآن، سيد قطب، مرجع سابق، م (١)، ص ص ٢٦٠ - ٢٦١.

٢ - تفسير القرآن الحكيم المشهور بتفسير المنار، محمد رشيد رضا، مرجع سابق، ج (٢)، ص ٣٧٩.

سَكِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أَخْرَجْنَا مِنْ دِينِنَا وَأَبْنَيْنَا^ط ، ولكن هذه الحماسة البالغة ما لبثت أن تجاوزت على مراحل الطريق^(١): ﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾ .

ثم يقول عز وجل: ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ^ع فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ^ع فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ^ع قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلتَقُوا اللَّهَ كَم مِّن فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةٌ

كثيرة^ط بإذن الله والله مع الصابرين^{٢٤٩}﴾ (البقرة)، وفي ثنايا هذه التجربة تكمن عبرة القيادة الصالحة الحازمة المؤمنة، وكلها واضحة في قيادة طالوت؛ تبرز منها خبرته بالنفوس؛ وعدم اغتراره بالحماسة الظاهرة، وعدم اكتفائه بالتجربة الأولى، ومحاولته اختبار الطاعة والعزيمة في نفوس جنوده قبل المعركة، ثم عدم تخاذله وقد تضاعل جنوده بعد تجربة؛ ولم يثبت معه في النهاية إلا تلك الفئة المختارة، فخاض بها المعركة ثقة منه بوعد الله الصادق للمؤمنين^(١).

وفي القصة تربية للعقل على عدم الانخداع بمظهر الشخص، بل لا بُدَّ من اختباره حتى يتبين مصداقيته فيما يصدر عنه من آراء ومقولات.

ويقول جل جلاله في شأن طالوت الذي اصطفاه الله سبحانه وتعالى ملكاً على بني إسرائيل لما كان يتمتع به من بسطة في العلم والجسم: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي

مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَسِيعٌ عَلِيمٌ^{٢٤٧}﴾ (البقرة)، فالله جل جلاله قد اختاره ملكاً عليهم، والله عز وجل لا يختار إلا ما فيه الخير لهم، وما عليهم إلا الطاعة والامتثال، ومقومات الملك متوافرة فيه وهي: الاستعداد الفطري، وسعة العلم والمعرفة بتدبير الأمور، وبسط الجسم وكمال قواه المستلزمة لصحة الفكر والهوية وفرض النفوذ، وتوفيق الله تعالى له بسبب أهليته وصلاحه^(٢).

١ - في ظلال القرآن، سيد قطب، مرجع سابق، م (١)، ص ٢٦٢.

٢ - في ظلال القرآن، سيد قطب، مرجع سابق، م (١)، ص ٢٦٣.

٣ - تفسير القرآن الحكيم المشهور بتفسير المنار، محمد رشيد رضا، مرجع سابق، ج (٢)، ص ٣٨٤.

﴿وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجَسْمِ﴾ ، فالصفات المحتاج إليها في سياسة أمر الأمة ترجع إلى أصالة الرأي، وقوة البدن؛ لأنه بالرأي يهتدي لمصالح الأمة، لا سيما في وقت المضائق، وعند تعذر الاستشارة، أو عند خلاف أهلى الشورى، وبالقوة يستطيع الثبات في مواقع القتال، فيكون بثباته ثبات الجيوش، وقدم في كلامه العلم على القوة لأنه وقعه في النفس أعظم^(١).

وقوم طالوت قد تصوروا أن مضمون القوة إنما يتمثل فقط بالمال، ولكن الله عز وجل نبه إلى إن معيار القوة في الإنسان يتمثل في أمرين هما: قوة العلم، وقوة الجسم؛ إذ إن الجسم هو الذي يتحرك ويعمل وينشط ويسعى، لكنه بحاجة دائمة إلى العقل الواعي المزود بالمعرفة ليرشده ويفعل دروه، ويُسدّد خطاه، ويضبط حركته^(٢).

وفي الآية - كذلك - دليل على النظرة التكاملية لمكونات الطبيعة الإنسانية، فالبسطة في الجسم دون البسطة في العلم لم تكن كافية لتولي الملك، ولذلك سبقت البسطة في العلم على البسطة في الجسم^(٣).

وخلاصة ما سبق، فإن العقل المسلم مطالب بالاعتبار بقصص السابقين، والوقوف عند معانيها، وما ترمي إليه من دروس، وأخذ العظة والعبرة وتثبيت الإيمان في القلوب، وفضلاً عن ذلك، فإن الله عز وجل قصّ علينا أخبار الماضين كي يتحسن وعي الإنسان، فيعرف مواطن الخلل التي وقع الآخرون فيها ليتجنبها، كما أنها تسهم في تربية العقل على ضرورة وأهمية النظر والتأمل في الماضي، ليتعلم منه الكثير، ويتمكن من حُسن قراءة الحاضر، وإمكانية استشراف المستقبل.

٧- الدعوة إلى التفكير في حكمة التشريع

إن التشريع منزل من عند الله، ولكن القائمين به هم البشر، وينبغي أن يكون البشر واعين لحكمة التشريع، وإلا فلن يطبقوه على تمامه، ولن يطبقوه على وضعه الصحيح. إن الحياة لا تسير آلية بحيث تنطبق عليها القاعدة التشريعية انطباقاً آلياً، وإنما هناك مئات من الحالات للقاعدة الواحدة، وما لم يكن الإنسان فاهماً للحكمة الكامنة وراء التشريع، وفاهماً لترايط التشريعات في مجموعها، فلن يتمكن من تطبيقها في تلك الحالات المختلفة التي تعرض للبشر في حياتهم الواقعية^(٤).

١ - تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور، مرجع سابق، م (٢)، ص ٤٩١.

٢ - السُّنَّة النبوية رؤية تربوية، سعيد إسماعيل علي، مرجع سابق، ص ٣١٦.

٣ - من الأصول التربوية في الإسلام، عبد الفتاح جلال، المركز الدولي للتعليم الوظيفي للكبار بسرس الليان، القاهرة، ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م، ص ٣٥.

٤ - منهج التربية الإسلامية، محمد قطب، ط (١٥)، دار الشروق، القاهرة، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م، ص ٨٦.

وقد عني القرآن كما هو ظاهر من آيات التشريع بأن يوقظ العقل البشري لتدبر هذه الآيات، وفهمها، ووعيتها، حتى يستطيع تطبيقها على خير وجه، وهناك كثير من آيات التشريع الأخرى في القرآن، لا يرد فيها التوجيه الصريح بالتدبر والتفكير، ولكنها محمولة على هذا الأمر العام، الذي يدعو العقل للفهم والتبين، قبل التطبيق والتنفيذ^(١).

ومن ذلك في سورة البقرة، ففي حكمة تشريع القصاص يقول الله عز وجل: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ ۗ الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ ۗ وَالْأُنثَىٰ بِالْأُنثَىٰ ۗ فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَأِنبِئْهُ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدِّءْ إِلَيْهِ بِإِحْسَنٍ ۗ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ ۗ فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٨﴾ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَتَأُولَىٰ الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾ (البقرة).

فقد بينت هذه الآية على وجازتها حكمة القصاص، بأسلوب لا يُسامي، وعبارة لا تُحاكي، واشتهر أنها من أبلغ آي القرآن؛ إذ جعل الله عز وجل فيها الضد متضمناً لضده، وهو "الحياة" في "الإماتة" التي هي القصاص، وعرف القصاص ونكر الحياة للإشعار بأن في هذا الجنس نوعاً من الحياة عظيماً لا يبلغه الوصف، وذلك لأن العلم به يردع القاتل عن القتل فيتسبب في حياة البشرية^(٢).

قال الزجاج: "إذا علم الرجل أنه إن قُتل، قُتل، أمسك عن القتل، فكان في ذلك حياة للذي همّ بقتله ولنفسه، لأنه من أجل القصاص أمسك"^(٣).

والنداء للذين آمنوا بهذه الصفة التي تقتضي التلقي من الله الذي آمنوا به في تشريع القصاص، وهو يناديهم لينبئهم أن الله عز وجل فرض عليهم شريعة القصاص في القتل، ثم يبين حكمة هذه الشريعة، ويوقظ فيهم التعقل والتدبر لهذه الحكمة، كما يستجيش في قلوبهم شعور التقوى؛ وهو سبيل الأمن في مجال القتل والقصاص^(٤).

وقد صدر الله عز وجل الآية بقوله: ﴿وَلَكُمْ﴾ المؤذن بأن منفعة القصاص مختصة بكم، عائدة إليكم؛ فشرعه إنما كان رحمة بكم وإحساناً إليكم، فمنفعته ومصلحته لكم^(٥).

١ - المرجع السابق، الصفحة نفسها.

٢ - روائع البيان: تفسير آيات الأحكام من القرآن، محمد علي الصابوني، ج (١)، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م، ص ١٢٢.

٣ - معاني القرآن واعرابه، أبو إسحاق إبراهيم بن السري المشهور بالزجاج، مرجع سابق، ج (١)، ص ٢٤٩.

٤ - في ظلال القرآن، سيد قطب، مرجع سابق، م (١)، ص ١٦٤.

٥ - التفسير القيم، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية، مرجع سابق، ص ١٤٤.

﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَتَأُولَى الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ ، إنه ليس الانتقام، وليس إرواء الأحقاد، إنما هو للحياة، وفي سبيل الحياة، بل هو هو في ذاته حياة، ثم إنه للتعقل والتدبر في حكمة الفريضة. والحياة التي في القصاص تنبثق من كف الجناة عن الاعتداء ساعة الابتداء، فالذي يوقن أنه يدفع حياته ثمناً لحياة من يقتل، جدير به أن يتروى ويفكر ويتردد، كما تنبثق من شفاء صدور أولياء الدم عند وقوع القتل بالفعل؛ شفاؤها من الحقد والرغبة في الثأر، وفي القصاص حياة على معناها الأشمل الأعم، فالاعتداء على حياة فرد اعتداء على الحياة كله، ثم - وهو الأهم والعامل المؤثر الأول في حفظ الحياة - استجاشة شعور التدبر لحكمة الله، ولتقواه: ﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾؛ فبغير هذا الرباط الذي يعقل النفوس من الاعتداء لا تقوم شريعة، ولا يفلح قانون، ولا يتحرج متحرج، ولا تكفي التنظيمات الخاوية من الروح والحساسية والخوف والطمع في قوة أكبر من قوة الإنسان! (١)

وفي حكمة تحريم الخمر والميسر يقول سبحانه وتعالى: ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْفَعَةٌ لِلنَّاسِ وَإِنَّهُمَا آكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴾ (البقرة).

﴿ وَإِنَّهُمَا آكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا ﴾ ؛ أما إثم الخمر: فيإذاء الناس، وإيقاع العداوة والبغضاء، وإضعاف القوى العقلية، وتبديد الثروة وإتلاف المال، ووقوع النزاع والخصام بين السكارى بعضهم مع بعض، وبينهم وبين الناس الآخرين، وكثيراً ما تقع حوادث قتل وضرب وجرح من السكارى وعليهم، كما إن السكران يصبح هزلياً مهيناً وموضع سخريه وتهكم، لاضطراب كلامه وهيئته وحركاته، فضلاً عن أنها تصد عن أداء الواجبات الدينية، وأما إثم الميسر: فهو أن المقامر يبذل ماله لريح موهوم، فيبتز منه المحترفون ثروته كلها، وهو في طلبه الريح المتوهم يفسد فكره، ويضعف عقله، ويضيع وقته، وأما منفعة الخمر: فهي الإبحار بها، والالتذاذ بها، بينما منفعة الميسر تكون فيما يصيبهم من الريح (٢)؛ ومن هنا قال

الله عز وجل: ﴿ وَإِنَّهُمَا آكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا ﴾

﴿ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴾ (٣١٩) ؛ فالله عز وجل يبين لكم الأحكام والآيات الواضحات في سائر كتابه، فيما يحقق مصالحكم ومنافعكم، ويوجهكم لما فيه من نفع

١ - في ظلال القرآن، سيد قطب، مرجع سابق، م (١)، ص ص ١٦٥ - ١٦٦.

٢ - تفسير القرآن الحكيم المشهور بتفسير المنار، مرجع سابق، ج (٢)، ص ٢٦٢.

وضر، والحكمة من شرع هذه الأحكام: هي لتتفكروا بعين البصر والوعي فيما ينفعكم في أمور الدنيا والآخرة^(١).

وفي حكمة تشريع الطلاق، يقول الله عز وجل: ﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٢٩﴾ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدِ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٢٣٠﴾﴾ (البقرة)، ومن الملاحظ أن كلمة "حدود الله" قد تكررت ست مرات في هاتين الآيتين، ويعلق محمد الغزالي على ذلك بقوله: "وأغلب المسلمين لا يعي هذه الكلمات، ولا يدري كم تكررت، ولما تكررت"^(٢).

فالطلاق الذي يجوز بعده استئناف الحياة مرتان، فإذا تجاوزهما المتجاوز لم يكن إلى العودة من سبيل إلا بشرط أن تنكح زوجًا غيره، ثم يطلقها الزوج الآخر طلاقًا طبيعيًا لسبب من الأسباب، ولا يراجعها فتبين منه، وعندئذ فقط يجوز لزوجها الأول أن ينكحها من جديد، إذا ارتضته زوجًا من جديد. وهذا التقييد جعل الطلاق محصورًا مقيّدًا؛ لا سبيل إلى العبت باستخدامه طويلاً، فالطالقة الأولى محك وتجربة، وأما الثانية فهي تجربة أخرى وامتحان أخير، فإن صلحت الحياة بعدها فذاك، وإلا فالطالقة الثالثة دليل على فساد أصيل في هذه الحياة لا سبيل إلى إصلاحه من قريب - إن كان الزوج جادًا عامدًا في الطلاق - وفي هذه الحالة يحسن أن ينصرف كلاهما إلى التماس شريك جديد، فأما إن كانت تلك الطلقات عبتًا أو تسرعًا أو رعونة، فالأمر إذن يستوجب وضع حد للعبت بهذا الحق، الذي قرر ليكون صمام أمن، وليكون علاجًا اضطراريًا لعلة مستعصية، لا ليكون موضعًا للعبت والتسرع والسفاهة، ويجب حينئذ أن تنتهي هذه الحياة التي لا تجد من الزوج احترامًا لها، واحتراسًا من المساس بها. فإذا سارت الحياة في طريقها فتزوجت بعد الطالقة الثالثة زوجًا آخر، ثم طلقها هذا الزوج الآخر، فلا جناح عليها وعلى زوجها الأول أن يتراجعا بشرط: ﴿إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ﴾، فليست المسألة هوى يطاع، وشهوة تستجاب، وليسا متروكين لأنفسهما وشهواتهما في تجمع أو افتراق؛ إنما هي حدود الله يبينها لقوم يعلمون ويعقلون^(٣).

١ - التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، وهبة الزحيلي، مرجع سابق، ج (٢)، ص ٢٧٩.

٢ - نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم، محمد الغزالي، مرجع سابق، ص ٢١.

٣ - في ظلال القرآن، سيد قطب، مرجع سابق، م (١)، ص ٢٤٧ - ٢٥٠.

وفي معرض الحديث عن متعة المطلقة، يقول جل جلاله ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ مَتْعُ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾ (٢٤١) كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٢٤٢) ﴿ (البقرة)، فمن الشرائع التي نُسيت في كثير من مجتمعاتنا شريعة المتعة، فالطلاق يتم بعد فترة يكتنفها الغدر، والإعراض والجحود، وتزول فيها المشاعر النبيلة، وليس هذا دينًا، فقد يكون أبغض الحلال إلى الله الطلاق، وإذا وقع لأمر ما وجب التخفيف من حدته بعطية حسنة، تطفئ الغضب، وتمنع الطغيان في الخصام^(١).

ثم حتم الله هذا الحكم بقوله: ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾؛ أي مضت سُنَّته تعالى بأن يبين لكم آياته في أحكام دينه مثل هذا النحو من البيان، وهو أن يذكر الحكم وفائدته ويقرنه بذكر الله والموعظة الحسنة التي تعين على العمل به، ليعدكم بذلك لكمال العقل فتتحروا الاستفادة من كل عمل، فعليكم أن تعقلوا ما تخاطبون به لتكونوا على بصيرة من دينكم، عارفين بانطباق أحكامه على مصالحكم بما فيها من تزكية نفوسكم والتأليف بين قلوبكم، فتكونوا حقيقيين بإقامتها والمحافظة عليها^(٢).

ويعلق محمد عبده على هذا التذييل تعليقًا عميق الدلالة بقوله: "فليس معنى العقل أن يجعل المعنى في حاشية من حواشي الدماغ، غير مستقر في الذهن ولا مؤثر في النفس، بل معناه أن يتدبر الشيء ويتأمله حتى تدعن نفسه لما أودع فيه إذعائًا يمون له أثر في العمل، فمن لم يعقل الكلام بهذا المعنى فهو ميت وإن كان يزعم أنه حي -ميت من عالم العقلاء، حي بالحياة الحيوانية- وقد فهمنا هذه الأحكام وما عقلناها، ولو عقلناها لما أهملناها"^(٣).

وصفوة القول، فقد تناول القرآن بصفة عامة، وسورة البقرة بصفة خاصة، في ثنايا حديثه عن بعض التشريعات بيان الحكمة والعلة منها، وذلك من أجل أن يربي العقل المسلم على ضرورة التدبر، والتأمل، والنظر، والتفكير، وحسن الفهم، والاستيعاب، فيزداد إيمانًا و يقينًا، فضلاً عن دورها في إقناع العقل بما جاء فيها من جلب مصلحة أو دفع مضرة، كذلك فإنها تربي العقل على الامتثال، وذلك من خلال تنفيذ وتطبيق أحكامه عز وجل والمحافظة على إقامتها؛ إذ إن فيها مصلحته في الدنيا والآخرة. وفضلاً عن ذلك، فإن معرفة العقل المسلم للعلة من آيات التشريع قبل تنفيذها يسهم -بلا شك- في تكوين العقل الواعي المدرك لدوره في هذه الحياة.

١ - نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم، محمد الغزالي، مرجع سابق، ص ٢٢.

٢ - تفسير القرآن الحكيم المشهور بتفسير المنار، مرجع سابق، ج (٢)، ص ٣٦٥.

٣ - المرجع السابق، الصفحة نفسها.

نتائج البحث

- ١- ينظر القرآن الكريم إلى الإنسان المسلم على أنه وحدة واحدة مترابطة الجوانب، متكاملة القوى، وعلى الرغم من أن لهذه الوحدة جوانب ثلاثة هي: الروح، والعقل، والجسم، إلا أن كل جانب له دوره، وله بالتالي أهميته، كما أن العلاقة بينها علاقة ارتباط؛ إذ إنه لا يمكن أن يستغني جانبٌ منها عن غيره.
- ٢- اهتمَّ القرآن الكريم بتنمية قدرة العقل الإنساني في النَّظَر والتَّأمُل والتفكُّر والتدبُّر؛ لأنَّ ذلك هو الذي يؤهِّله لحمل أعباء رسالة الإسلام، والقيام بمهمة الاستخلاف في الأرض وإعمارها.
- ٣- يحث منهج التربية في القرآن العقل المسلم على قراءة القرآن وتدبر آياته، وتفكر ما جاء فيه، وفهم دقائق مدلولاته؛ أي أن تكون قراءته قراءة تأملية واعية تحليلية.
- ٤- كشف المنهج القرآني -من خلال تدبر سورة البقرة- عن مجموعة من القواعد والأسس لتربية العقل المسلم، وهي: وضع المنهج الصحيح للنظر العقلي -وذلك من خلال القدرة على إصدار الأحكام بناء على الحجة والبرهان، وتحرير العقل من التبعية والتقليد، والاعتماد على المشاهدة الحسية والمعرفة اليقينية، واحترام إرادة الإنسان وعقله، واستنهاض قدرات العقل الإنساني، والدعوة إلى التأمل في نواميس الكون، والدعوة إلى الحوار الهادف البناء، والدعوة إلى المعرفة والتعلم عن طريق التساؤل، والدعوة إلى الاعتبار بقصص السابقين، والدعوة إلى التفكير في حكمة التشريع.
- ٥- أظهر تدبر منهج القرآن في آيات سورة البقرة وجود منهج واضح لاستخدام الأدلة العقلية والبرهانية، بما يسهم في تربية العقل المسلم على عدم قبول مقدمات أي موضوع إلا إذا بُرهن عليه بالأدلة الواضحة، وبهذا يتمكن العقل من الوصول إلى النتائج الصحيحة والموضوعية، قال تعالى: ﴿ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (البقرة).
- ٦- دعا المنهج القرآني في سورة البقرة إلى استثمار قدرات العقل ووظائفه، وذلك في نطاق العقل وحدود مداركه، كما حرص على تربية العقل على سعة الأفق وحب الاطلاع والتفكير والتأمل، ومحاولة الكشف عن العلل الكامنة وراء الأحكام المختلفة التي شرعها الله عز وجل.
- ٧- إن التأمل في نواميس الكون يطبع العقل المسلم بطابع الدقة والتنظيم، وانضباط الأحكام، وهذا ينعكس في كل شأن من شؤون حياته، كما أن دعوة الإنسان للتأمل والتفكير في الظواهر الكونية المختلفة، هي دعوة لحث العقل المسلم على تحرير تفكيره من القيود التي تقيده، ودفعاً له للانطلاق في آفاق المعرفة والبحث. فغاية العقل المسلم من التأمل في تلك النواميس تقوم

على رؤية تبدأ بالتفكير الصحيح الذي يتبناه ذلك العقل، والذي يؤدي إلى حُسن النظر في الأمور جُلها، وتنتهي بالعمل بمقتضى منهج الله في كل أمر من أمور الحياة.

٨- يلفت تدبر آيات سورة البقرة العقل المسلم إلى ضرورة التحرر من القيود التي تعوق تفكيره، وتحول بينه وبين القيام بعمله التدريبي والاقتناعي، ومن أبرزها تقليد الآخرين - دون تفكير وإمعان نظر وتمحيص وتدبر- في الآراء والأفكار والمعتقدات، فيما لو كان هذا التقليد لهم صحيحًا أو خاطئًا، نافعًا للمقلد أم ضارًّا به؛ لأن من فعل ذلك فقد عطل عقله وحال بينه وبين أداء وظائفه، وفضلاً عن ذلك فقد دعا العقل إلى أن يتفكَّر، ويتبصَّر، ويعتبر، ويتعظ، ويتدبَّر بقصص السابقين.

٩- يظهر في بعض آيات سورة البقرة تكرارًا لبعض الحقائق المتعلقة بالأمور الغيبية التي يريد القرآن الكريم أن يثبتها في أذهان وعقول البشر، كقضية البعث بعد الفناء.

١٠- حفلت آيات سورة البقرة بكثير من الحوارات والتساؤلات، والذي يكشف تدبرها عن كيفية استخدام المنهج العقلي في الحجاج العقلي والمناقشة والحوار الهادف، وذلك من أجل الارتقاء بالعقل وطريقة تفكيره.

المحور الثالث: التصور المقترح للاستفادة من قواعد وأسس تربية العقل المسلم المستنبطة من ضوء تدبر سورة البقرة في النهوض بعقل المتعلم

في ضوء ما قام به البحث الراهن من محاولة الكشف عن بعض القواعد والأسس اللازمة لتربية العقل المسلم من خلال تدبر سورة البقرة، وكذا ما توصل إليه البحث من نتائج، فإنَّ المحور الحالي يحاول أن يُركز على دور المعلم والمناهج في تفعيل هذه القواعد والأسس بما يسهم في النهوض بعقل المتعلم، ومن ثمَّ الارتقاء بشأن العملية التعليمية.

وإذا كان المتعلم هو موضوع التربية، فإن قيمة المصدر التربوي يمكن أن تقاس بمدى احترامه لعقله؛ إذ إنه الأداة التي بها يفهم ويتأمل ويتفكر ويتعلم. ومن هنا يأتي دور المعلم والمناهج في الارتقاء بعقل المتعلم - في ضوء ما كشف عنه البحث من قواعد وأسس لتربية العقل من خلال تدبر سورة البقرة- كما يلي:

أولاً- المعلم

ويتمثل دوره فيما يلي:

١- أن يحترم المعلم جوانب شخصية المتعلم كلها، ويعطي لكل منها حقها، وأن يسعى للإفادة الكاملة والتامة من طاقات وقدرات جوانب شخصيته مجتمعةً، وتسخيرها بصورة متناسقة لغرض تحقيق أهدافها السامية؛ فالطاقات العقلية مثلاً- تُسخَّر للتفكير والتأمل والتدبر فيما يتعلمه ويدرسه من أجل الانتفاع به على النحو الصحيح في كل شأنٍ من شؤون حياته.

- ٢- أن يحاول تحقيق التنمية الفكرية للمتعلم من خلال تنمية ذكائه، وقدرته على التأمل والتخيل والتحليل والتفكير - ووسيلته في ذلك دعوة المتعلم إلى النظر في الطبيعة والكون، والنفس الإنسانية-، وذلك بما يتناسب وطبيعة المواد الدراسية التي يتعلمها، فضلاً عن محاولة تقوية الذاكرة والتذكر من خلال فهم القرآن الكريم وتديره، واستيعاب معانيه، ثم حفظه.
- ٣- أن يسعى عن طريق خطوات علمية منظمة ومحددة إلى زيادة وعي طلابه بضرورة استثمار العقل، وتوظيف قدراته بما يعود عليهم بالنفع وعلى مجتمعهم، فضلاً عن تدريبهم على أهمية وجود ضوابط معينة للعقل والتفكير؛ بحيث يصبح العقل منضبط السير والخطو.
- ٤- أن يسعى إلى تربية عقول طلابه على تنظيم الأفكار والتفكير السليم وحسن الاستدلال؛ وذلك من خلال تنشئتهم على ضرورة بناء الأحكام والبراهين على مقدمات صحيحة، حتى يمكن من خلالها استنباط نتائج صحيحة.
- ٥- أن يُربي المتعلم على إعمال عقله، والامتناع عن تقليد زملائه أو أساتذته دون أن يُعمل فكره فيما يُطرح من آراء وموضوعات قضايا داخل العملية التعليمية أو خارجها، وهذا يتطلب من المعلم العمل على تكوين شخصيته؛ بحيث تصبح شخصية مستقلة لديها القدرة على التمييز بين ما ينفعها وما يضرها، وهذا يتطلب من المتعلم أن يعتمد على عقله وفكره في تحديد موقفه من القضايا المختلفة لا ما قاله أو فعله أو اعتقده غيره من زملائه.
- ٦- أن يشجع طلابه على طرح الأسئلة؛ إذ إنها مهارة عقلية متميزة، فإذا ما أحسن استخدامها أدت إلى نتائج فعالة في النهوض بتفكير المتعلم؛ إذ إنها تدفعه إلى إعمال عقله، والتفكير لمعرفة ما يتصل بموضوع النقاش، كما تقوده إلى الطريقة الصحيحة للتفكير، كما تؤدي دوراً هاماً في الجانب العقلي لديه، وذلك عندما تكسبه القدرة على الربط والموازنة والاستنتاج.
- ٧- أن يربي طلابه على أن يفكروا بأنفسهم للوصول إلى الحقيقة؛ وهنا يظهر دوره في توجيه أفكارهم من مرحلة إلى أخرى، وإبعادهم عن محاكاته، وإعادة ما يقول من غير روية ولا تفكير.
- ٨- أن يسعى إلى تربية الطلاب على التفكير العلمي؛ ليحل محل الأوهام والخرافات التي ترسخت في أذهان كثير منهم، ووسيلة ذلك أن يسعى إلى غرس مجموعة من عمليات التفكير في عقول طلابه، تتجلى في "التدبر" و"النظر" و"التأمل" و"الاعتبار" و"التعقل"، وغيرها، ومن ثم فلا يتم الحكم على موضوع أو قضية إلا بعد تأملها والنظر في أبعادها واعتبار سلبياتها وإيجابياتها. ولعل من وسائل ذلك أن يحاول تربية عقول طلابه على البحث عن أسباب وعلل وغايات الأشياء، وبذلك يمكن أن تظهر ملامح تكوين العقلية العلمية، التي تعمل عقلها وفكرها فيما يعن لها من أمور، بدلاً من الاستجابة التلقائية لكل شيء دون أدنى بذل للجهد.

- ٩- ضرورة أن يدرّب طلابه على استخدام عقولهم في مواجهة المشكلات، وأن يبذلوا قصارى جهدهم في محاولة طرح البدائل المختلفة، ثم تنفيذ هذه البدائل واختيار الأصلح منها.
- ١٠- أن يوسع من مجال الحرية المتاحة لطلابهم؛ وذلك بأن يكون لهم قدر من الاختيار فيما يمارسون ويشاركون من أنشطة تعليمية وتربوية مختلفة، وأن يكون لهم الحق في أن يعبروا عما يريدون، وينتقدوا ما لا يتقبلوه، وفي الوقت ذاته، فإن المعلم يحترم أفكارهم وآرائهم، ويوجههم إلى المسار الصحيح بالحوار الهادف البناء.
- ١١- أن يسعى إلى تقديم المادة العلمية في صورة حوار ونقاش متبادل، بما يُشعر المتعلم بأنه يسهم في عرض المحتوى العلمي وتحليله ونقده، وتبين جوانبه المختلفة، ولا شك أن ذلك يؤدي إلى زيادة الفهم والافتناع بما يتعلمه، وهذا يزيد التعلم رسوخًا في ذهنيته.
- ١٢- أن يتبنى مجموعة أساليب للنهوض بعقل المتعلم وطريقة تفكيره، ومن ذلك العمل على تحرير عقول طلابه من الأهواء أو الاعتماد على الظن في الحكم على الأمور، وإصدار الآراء، وذلك بإتاحة الفرص المتعددة لهم لتمحيص آرائهم علميًا؛ فحينما تُختبر آرائهم بهذه الطريقة يستطيع المتعلم أن يُحدد موقفه من القضية المثارة، فقد يستمسك بها أكثر من ذي قبل، أو يتخلى عنها، أو يُعدلها، وسوف يستطيع في كل حالة أن يكون أكثر اقتناعًا بتلك الآراء.
- ١٣- أن يُشعر طلابه بأن الله رقيب عليهم؛ إذ إن إحساس المتعلم بأن الله بكل شيء بصير ومحيط، يترك أثره الواضح على قوله وفعله وسلوكياته؛ أو بإيجاز يضبط شعونه حياته كلها.

ثانيًا- المناهج

ويتمثل دورها فيما يلي:

- ١- ضرورة النظر في طرق تقديم المحتوى التعليمي للطلاب من خلال المقررات والمناهج، وأساليب تعليم المواد، وخاصة مواد التربية الدينية، ومن ذلك أن تأخذ القضايا المتعلقة بالتفكير والنظر والتدبر في القرآن اهتمامًا أكبر في مناهج التعليم، مع محاولة توظيف الآيات التي تشير إلى استخدام العقل في جميع المناهج الدراسية.
- ٢- أن تتيح المناهج الدراسية للمتعلم قدرًا من الحرية لإعمال فكره وعقله فيما يدرسه من مقررات، ولا تُركز في المقام الرئيس على استيعاب المعلومات وحفظها فقط.
- ٣- إذا كان تعلم القرآن وتعليمه هو أساس وضع الإنسان على المسار الصحيح للتحرك في تحقيق مكتسباته العلمية والمعرفية، فلا بُدَّ أن تتبنى مناهج تدريس التربية الدينية رؤية جديدة لتعلمه وتعليمه، تقوم على تربية عقول المتعلم على التفكير والتأمل والتدبر، وعدم الوقوف في تعليم القرآن عند مجرد إتقان التلاوة والحفظ، بل لا بُدَّ أن يجمع إلى ذلك الفهم والتدبر، وأن يشجع

المتعلمون على فهم الآيات وإدراك مقاصدها حسب استطاعتهم، وأن يشجعوا على البحث للتعرف على معاني الآيات، من أجل أن يسهم القرآن في تكوين شخصياتهم.

٤- ضرورة أن يتدرج محتوى المنهج القرآني في مناهج التربية الدينية تبعًا للمراحل الدراسية المختلفة، ففي المراحل الأولى يكون الاعتماد في تدبر القرآن قائمًا على توضيح الألفاظ، وتفسير الآيات تفسيرًا ميسرًا واستخراج بعض الإرشادات التربوية من الآيات المقروءة. وفي المرحلة الإعدادية يتعرف على خصائص القرآن الكريم، ومواضيع السور المقررة وأغراضها؛ فإن هذا أدعى للفهم والتدبر، وفي المرحلة الثانوية، معرفة أسباب النزول، لما هو من دور في فهم المعنى المراد، والتعرف على كيفية الاستفادة من الآيات في الواقع الذي يعيشه المتعلم، مع ضرورة أن يركز المنهج على وجود أنشطة متنوعة تدفع المتعلم إلى إعمال عقله، فضلاً عن ممارسة التدبر والتأمل والنظر، ومن ذلك: جمع الآيات الواردة حول موضوع واحد، والقيام ببحوث حول أجزاء الزمن ومواقعها في القرآن، وتحديد السور التي تحدثت عن الأنبياء أو أولو العزم من الرسل، وغيرها، والتي تتطلب -بالدرجة الأولى- ضرورة قراءة القرآن بفهم ووعي وتفاعل.

مراجع البحث

- ١- الأحاديث والآثار الواردة في فضائل سور القرآن الكريم: دراسة ونقد، إبراهيم علي السيد، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.
- ٢- أسس الحضارة الإسلامية ووسائلها، عبد الرحمن حبنكة الميداني، مكة المكرمة، (د.ت).
- ٣- أسس الحوار في القرآن الكريم: دراسة في علاقة الإسلام باليهودية والمسيحية، هريرت بوسه، ترجمة أحمد محمود هويدي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.
- ٤- الإسلام دين الفطرة، عبد العزيز جاويش، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.
- ٥- تحديد العقل التربوي، سعيد إسماعيل علي، عالم الكتب، القاهرة، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٥ م.
- ٦- "تدبر القرآن الكريم: مفهومه - أساليبه - أسبابه - آثاره"، فهد بن مبارك بن عبد الله الوهبي، مجلة الدراسات القرآنية، ع (٨)، الجمعية العلمية السعودية للقرآن الكريم وعلومه، الرياض، ١٤٣٢ هـ - ٢٠١١ م.
- ٧- التربية الإسلامية في سورة الأنفال، علي عبد الحليم محمود، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م.
- ٨- التربية السياسية للأطفال، سعيد إسماعيل علي، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.
- ٩- تربية العقل في الإسلام ودورها في مواجهة المظاهر السلبية للتفكير، أماني عصمت عبد العزيز هيبه: رسالة ماجستير غير منشورة، كلية البنات، جامعة عين شمس، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م.
- ١٠- التربية العقلية، علي عبد الحليم محمود، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م.
- ١١- تربية الناشئ المسلم، علي عبد الحليم محمود، ط (٣)، دار الوفاء لدنيا الطبع والنشر، القاهرة، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م.
- ١٢- التربية بالآيات، عبد الرحمن النحلاوي، دار الفكر، دمشق، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٥ م.
- ١٣- التربية بالحوار، عبد الرحمن النحلاوي، دار الفكر، دمشق، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م.
- ١٤- التربية في الإسلام، أحمد إبراهيم مهنا، دار الشعب، القاهرة، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م.
- ١٥- التعريفات، أبو الحسن علي بن محمد بن علي الجرجاني المعروف بـ "السيد الشريف"، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٣٩١ هـ - ١٩٧١ م.
- ١٦- التفسير الإسلامي للتاريخ، عماد الدين خليل، ط (٥)، دار العلم للملايين، بيروت، ١٤١٢ هـ - ١٩٩١ م.
- ١٧- تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، ١٤٢٧ هـ - ١٩٩٧ م.
- ١٨- تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل، محمد جمال الدين القاسمي، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م.
- ١٩- تفسير القرآن الحكيم المشهور بتفسير المنار، محمد رشيد رضا، خرّج آياته وأحاديثه وشرح غريبه إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.
- ٢٠- تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي، دار الآثار للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م.
- ٢١- تفسير القرآن الكريم: سورة البقرة، محمد بن صالح العثيمين، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م.
- ٢٢- التفسير القيم، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية، جمعه محمد أويس الندوي، حققه محمد حامد الفقي، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت).

- ٢٣- تفسير الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم جبار الله محمود بن عمر بن محمد الزمخشري، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م.
- ٢٤- التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، وهبة الزحيلي، دار الفكر، دمشق، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م.
- ٢٥- التفسير الوسيط، وهبة الزحيلي، دار الفكر المعاصر، بيروت، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م.
- ٢٦- التفكير في المفقود، عبد الكريم بكار، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، ١٤٣١ هـ - ٢٠١٠ م.
- ٢٧- التفكير وتنميته في ضوء القرآن الكريم، عبد الوهاب محمود إبراهيم، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح الوطنية بنابلس، فلسطين، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٩ م.
- ٢٨- "التنشئة القرآنية وأثرها في بناء الفرد والمجتمع"، أحمد بن عبد الله عبد المحسن الفريح، مجلة علوم الشريعة واللغة العربية وآدابها، ج (١٩)، ع (٤١)، جامعة أم القرى، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م.
- ٢٩- تهمذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، أحمد بن محمد بن يعقوب بن مسكويه، تحقيق ابن الخطيب، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٧ م.
- ٣٠- الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، ط (٢)، تحقيق محمد إبراهيم الحفناوي ومحمود حامد عثمان، دار الحديث، القاهرة، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م.
- ٣١- الحوار منهجًا وثقافةً، سعيد إسماعيل علي، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.
- ٣٢- خصائص التصور الإسلامي ومقوماته، سيد قطب، ط (١٤)، دار الشروق، القاهرة، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م.
- ٣٣- الخطاب التربوي الإسلامي، سعيد إسماعيل علي، كتاب الأمة، ع (١٠)، س (٢٤)، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الدوحة، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م.
- ٣٤- دراسات قرآنية، محمد قطب، ط (٧)، دار الشروق، القاهرة، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م.
- ٣٥- دراسة تحليلية لبعض القيم التربوية في سورة البقرة ودورها في تربية تلميذ المرحلة الأولى من التعليم الأساسي، دعاء وحيد فؤاد، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة قناة السويس، ١٤٣٢ هـ - ٢٠١١ م.
- ٣٦- دستور الأخلاق في القرآن: دراسة مقارنة للأخلاق النظرية في القرآن، محمد عبد الله دراز، ط (١٠)، تعريب وتحقيق وتعليق عبد الصبور شاهين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م.
- ٣٧- دستور الوحدة الثقافية بين المسلمين، محمد الغزالي، دار الشروق، القاهرة، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م.
- ٣٨- ركائز الإيمان، محمد قطب، دار الشروق، القاهرة، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.
- ٣٩- روائع البيان: تفسير آيات الأحكام من القرآن، محمد علي الصابوني، ج (١)، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.
- ٤٠- السنّة النبوية رؤية تربوية، سعيد إسماعيل علي، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م.
- ٤١- سنن ابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م.
- ٤٢- سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م.
- ٤٣- الشخصية الإسلامية: دراسة قرآنية، عائشة عبد الرحمن، ط (٣)، دار العلم للملايين، بيروت، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م.
- ٤٤- صحيح مسلم بشرح النووي، يحيى بن شرف النووي، م (٨)، تحقيق عصام الصباطي وحازم محمد وعماد عامر، دار الحديث، القاهرة، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م.
- ٤٥- صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، دار ابن رجب، القاهرة، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م.

- ٤٦- طريق المحرّتين وباب السعادتين، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية، م (١)، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.
- ٤٧- العقل التربوي العربي: من الأزمنة إلى الإصلاح، سعيد إسماعيل علي، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، ١٤٣٢ هـ - ٢٠١١ م.
- ٤٨- العلم وأهله في الحديث النبوي الشريف، محسن بن محمد بن سعيد عبد الناظر، مؤسسة الريان، بيروت، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.
- ٤٩- فتح الباري بشرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق عبد العزيز بن عبد الله بن باز، ج (٨)، دار الحديث، القاهرة، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.
- ٥٠- الفكر الديني وقضايا العصر، محمود حمدي زقزوق، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢ م.
- ٥١- فلسفة التربية الإسلامية انتماء وارتقاء، أحمد رجب الأسمر، دار الفرقان للنشر والتوزيع، عمان، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م.
- ٥٢- فلسفة التربية الإسلامية في القرآن الكريم، علي خليل مصطفى أبو العينين، ط (٣)، مكتبة إبراهيم حلي، المدينة المنورة، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٨ م.
- ٥٣- فلسفة الحضارة الإسلامية، أحمد عبد الرحيم السايح، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بوزارة الأوقاف، القاهرة، ١٤١٠ هـ - ١٩٨٩ م.
- ٥٤- الفوائد، شمس الدين محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، علّق عليه محمد محمد تامر، دار التقوى للتراث، القاهرة، (د.ت).
- ٥٥- في ظلال القرآن، سيد قطب، ط (٢١)، دار الشروق، القاهرة، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م.
- ٥٦- القاموس القويم للقرآن الكريم، إبراهيم أحمد عبد الفتاح، ج (١)، مجمع البحوث الإسلامية، القاهرة، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م.
- ٥٧- القرآن العظيم: هدايته وإعجازه في أقوال المفسرين، محمد الصادق عرجون، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، (د.ت).
- ٥٨- القرآن وعلم النفس، محمد عثمان نجاتي، ط (٦)، دار الشروق، القاهرة، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م.
- ٥٩- كيف نتعامل مع القرآن: في مدارس أجراها عمر عبيد حسنة، محمد الغزالي، ط (٣)، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، هيرندن - فيرجينيا - الولايات المتحدة الأمريكية، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م.
- ٦٠- المستصفي من علم الأصول، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، ج (١)، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م.
- ٦١- "مصطلح التفكير كما جاء في القرآن الكريم: دراسة موضوعية"، محمد حازر الجالي، مجلة الشريعة والقانون، ع (٢٣)، الجامعة الأردنية، عمان، ربيع الأول ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.
- ٦٢- معاني القرآن وعرابه، أبو إسحاق إبراهيم بن السري المشهور بالزجاج، ط (٢)، ج (٤)، شرح وتحقيق عبد الجليل عبده شليبي، دار الحديث، القاهرة، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م.
- ٦٣- المعجزة الكبرى: القرآن "نزوله - كتاباته - جمعه - إعجازه - جدله - علومه - تفسيره - حكم الغناء به"، محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م.
- ٦٤- معجم ألفاظ القرآن الكريم، مجمع اللغة العربية، ج (١)، مجمع اللغة العربية، القاهرة، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م.
- ٦٥- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، دار الحديث، القاهرة، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م.
- ٦٦- معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا الرازي، وضع حواشيه إبراهيم شمس الدين، م (١)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.

- ٦٧- المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، ط (٢)، تحقيق محمد خليل عيتاني، دار المعرفة، بيروت، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.
- ٦٨- "مفهوم التدبر عند اللغويين"، عويض العطوي، في: مفهوم التدبر: (تحرير وتأصيل)، أوراق عمل الملتقى العلمي الأول لتدبر القرآن الكريم، مركز تدبر للاستشارات التربوية والتعليمية، الرياض، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م.
- ٦٩- "مفهوم التلاوة والترتيل والتدبر في القرآن الكريم"، منظور بن محمد بن محمد رمضان، مجلة علوم الشريعة واللغة العربية وآدابها، ج (١٨)، ع (٣٠)، جامعة أم القرى، جمادى الأولى ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م.
- ٧٠- المكّي والمدني في القرآن الكريم: دراسة تأصيلية نقدية للسور والآيات من أول القرآن الكريم إلى نهاية سورة الإسراء، عبد الرزاق حسين أحمد، م (١)، دار ابن عفان للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.
- ٧١- من الأصول التربوية في الإسلام، عبد الفتاح جلال، المركز الدولي للتعليم الوظيفي للكبار بمرس الليان، القاهرة، ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م.
- ٧٢- مناهج البحث في التربية وعلم النفس، جابر عبد الحميد جابر وأحمد خير كاظم، مناهج البحث في التربية، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م.
- ٧٣- منهج التربية الإسلامية، محمد قطب، ط (١٥)، دار الشروق، القاهرة، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.
- ٧٤- "منهج القرآن في تهذيب غرائز الإنسان: غريزة حب الاستطلاع"، أبو بكر علي الصديق، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، س (١٩)، ع (٥٦)، مجلس النشر العلمي، جامعة الكويت، المحرم ١٤٢٥ هـ - مارس ٢٠٠٤ م.
- ٧٥- منهجية التدبر في القرآن الكريم وتطبيقاتها في مجال التربية العقلية لطالبات المرحلة الثانوية، إيمان بنت زكي عبد الله، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة أم القرى، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م.
- ٧٦- مهارات التربية الإسلامية، عبد الرحمن بن عبد الله المالكي، كتاب الأمة، ع (١٠٦)، س (٢٥)، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الدوحة، ربيع الأول ١٤٢٦ هـ - إبريل - مايو ٢٠٠٥ م.
- ٧٧- الموسوعة القرآنية المتخصصة، نُجبة من العلماء، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بوزارة الأوقاف، القاهرة، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م.
- ٧٨- النبأ العظيم: نظرات جديدة في القرآن، محمد عبد الله دراز، دار الثقافة، الدوحة، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م.
- ٧٩- نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم، محمد الغزالي، ط (٥)، دار الشروق، القاهرة، ١٤٣٢ هـ - ٢٠٠٢ م.
- ٨٠- نفوس ودروس في إطار التصوير القرآني، توفيق محمد سبع، ج (١)، سلسلة البحوث الإسلامية، س (٣)، ع (٣٤)، مجمع البحوث الإسلامية، القاهرة، رجب ١٣٩١ هـ - أغسطس ١٩٧١ م.
- ٨١- الوحي المحمدي، محمد رشيد رضا، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بوزارة الأوقاف، القاهرة، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م.